

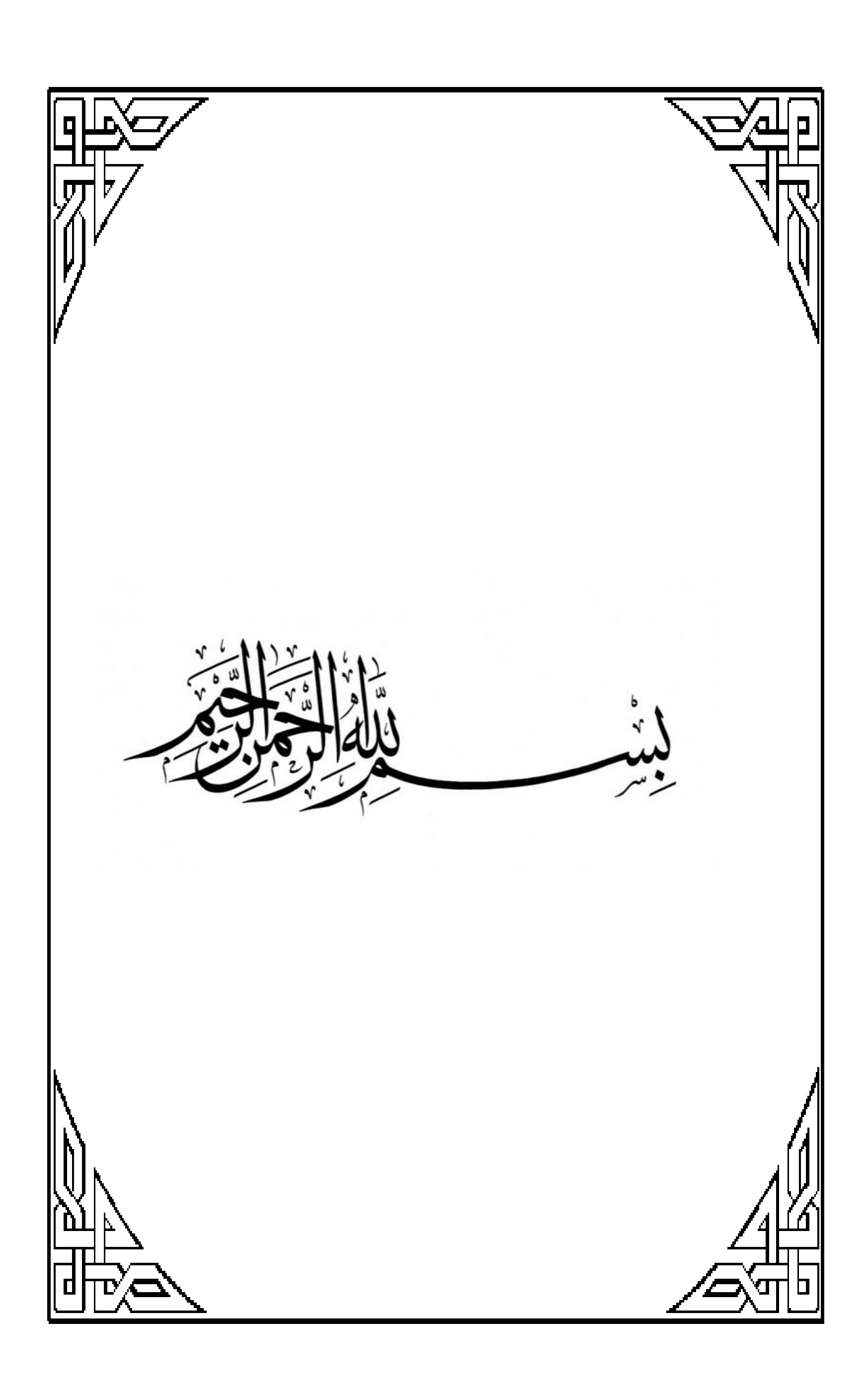
تقديم فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

تأليف

زيد بن فالح الربع الشمري


بسم الله الرحمن الرحيم

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه، أما بعد: فإن كتاب «المختصر المفيد في مجالس كتاب التوحيد»، للشيخ زيد بن فالح الربع الشمري، كتابٌ مفيدٌ في موضوعه، وهو تقريب لفهم «كتاب التوحيد»، للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وفق الله الجميع للعلم النافع، والعمل الصالح.

كتبه: صالح بن فوازن الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء في ١٢/ ٥/ ١٤٣٨ هـ»

«ملحوظة : هذا التقديم لأصل الكتاب المختصر منه، وقد أذن الشيخ صالح الفوزان أن يكون التقديم أيضًا لهذا الكتاب الذي بين يديك»

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْـمُرْسَلِينِ، وَبَعْدُ: فَهَذَا شَرْحٌ مُيَسَّرٌ، وَحَاشِيَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَلَىٰ مَتْنِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-، سَمَّيْتُهُ (الْـمُخْتَصَرَ الْـمُفِيدَ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ).

وَقَدِ اخْتَصَرْتُهُ مِنْ كِتَابِي (الْـمُخْتَصَرِ الْـمُفِيدِ فِي مَجَالِسِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ)، وَالَّذِيْ حَظِيَ بِتَقْدِيمٍ مِنْ مَعَالِي الشَّيْخِ العَلَّامَةِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانِ الْفَوْزَانِ عُضْوِ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَعُضْوِ الَّلجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِفْتَاءِ، وَقَدْ أَذِنَ فَضِيلَتُهُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيمُ لِلْكِتَابَيْنِ مَعًا؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، وَجَزَاهُ عَنِّي خَيْرَ الْـجَزَاءِ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْكَ هُوَ -بِحَمْدِ اللهِ-، مَعَ اخْتِصَارِهِ شرحٌ إجمالي شَامِلٌ لِـمَقْصُودِ الْـمُصَنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مِنْ تَرَاجِمِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ، وَأَبْوَابِهِ، وَيَصْلُحُ لِلْقِرَاءَةِ فِي الْـمَسَاجِـدِ والْـمَجَالِسِ، وَكَمَادَّةٍ وَمَنْهَجٍ لِلدَّوْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْإِهْدَاءِ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَتَرْجَمَتِهِ لِلغَاتٍ

أُخْرَىٰ، وَلِلتَّوْزِيعِ الْـخَيْرِيِّ لِعُمُومِ الْـمُسْلِمِينَ، وقد أذنتُ بحقوق طَبْعِهِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ بِشَرْطِ التَّنْسِيقِ مَعَ الْـمُؤَلِّفِ.

أَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُضَاعِفَ الْأَجْرَ وَالْـمَثُوبَةَ لِمَنْ قَرَأَهُ، أَوْ طَبَعَهُ، أَوْ نَشَرَهُ، وَأَنْ يَـجْمَعَنَا بِكُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

زيد بن فالح الربع

المملكة العربيَّة السُّعوديَّة

الحدود الشمالية– محافظة العويقيلة – قرية المركوز

الجوال/ ٠٥٤٢١٢٥١٧٤



(١)
كِتَابُ التَّوْحِيدِ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٢)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(٣).

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ....﴾. الآيات(٤).

قال ابنُ مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلىٰ قول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾(٥).

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦ .

(٢) سورة النحل الآية: ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء الآية: ٢٣ .

(٤) سورة الأنعام الآيات: ١٥١ – ١٥٣ .

(٥) سورة الأنعام الآيات: ١٥١ – ١٥٣ .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ؟ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ الله عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»، أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

هذهِ النُّصوصُ تدلُّ علىٰ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ لعبادتهِ، والإخلاصِ لَهُ، وأَنَّ ذلك حَقَّهُ الواجبُ المفروضُ عَليهم؛ فإنَّ أعظمَ ما أَمَرَ اللهُ بهِ هو التَّوْحِيدُ، وجميعُ الكتبِ السَّماويَّةِ، وجميعُ الرُّسُلِ دَعَوْا إلىٰ هَذا التَّوْحِيدِ، وَنَهَوْا عن ضِدِّهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ، وهَذا هو معنىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا الله)، وهو توحيدُ الأُلوهيَّةِ، فَلَا يُدْعَىٰ إِلَّا اللهُ، وَلَا يُستغاثُ إِلَّا بهِ، وَلَا يُذْبَحُ وَلَا يُنْذَرُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُصْرَفُ أَيُّ نوعٍ مِنْ أنواعِ العبادةِ إِلَّا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَمَّا توحيدُ اللهِ -تعالىٰ- في ربوبيَّتهِ، وهو توحيدُهُ

بأفعالِهِ؛ كالخَلْقِ، والرِّزْقِ، والإحياءِ والإماتةِ، فقد أَقَرَّ بهِ الكُفَّارُ؛ فلم يَنْفَعْهُمْ، ولم يُدْخِلْهُمْ في الإسلامِ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1]، وأَمَّا توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ، فإنه بإِثباتِها للهِ ﷻ، كما جاءتْ في الكتابِ والسُّنَّةِ، بلا تمثيلٍ، ولا تحريفٍ، ولا تكييفٍ، ولا تعطيلٍ؛ كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، وإثباتِنا لها كلِّها على الوجهِ اللائقِ باللهِ تعالى، ونعتقدُ بأنَّ اللهَ ليسَ له مثيلٌ في أسمائهِ وصفاتهِ؛ فنكونُ -بذلك- قد سَلِمْنَا مِن ضَلالتينِ، وهما: (التَّعطيل: وهو نفيُ دَلالةِ الأسماءِ والصفاتِ - والتَّمثيل: وهو إثباتُها على وجهٍ يُماثِلُ صفاتِ المخلوقِينَ)، فإِثباتُنا بلا تمثيلٍ، وتنزيهُنا للهِ بلا تعطيلٍ.

❁❁❁

(١) سورة العنكبوت الآية: ٦١.

(٢) سورة الشورى الآية: ١١.

(٢)
باب فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَىٰ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادِكَ

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٨٢.

يَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ يَا مُوسَىٰ! لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً).

فيه بيانُ فضائلِ التَّوحيدِ، وأنه أَوَّلُ واجبٍ علىٰ المكلَّفِ، وأفضلُ الأعمالِ وأَعظمُها تكفيرًا للذُّنوبِ، وبهِ يُدْخَلُ العبدُ الجنَّةَ، ويُمْنَعُ من الخلودِ في النَّارِ.

ومِن فضائلِهِ أنه السَّبَبُ الأعظمُ لتفريجِ كُرُبَاتِ الدُّنيا والآخرةِ، ودفعِ عقوبتِهما، ويَحْصُلُ لصاحبِهِ الهُدَىٰ والأمنُ التَّامُّ في الدَّارَيْنِ، ويُحَرِّرُ العَبْدَ مِن رِقِّ المخلوقينَ، والمسلمُ الموحِّدُ إذا ماتَ علىٰ التَّوحيدِ؛ فإنَّهُ يدخلُ الجنَّةَ

علىٰ أحدِ ثلاثِ تقاديرٍ وأحوالٍ:

فَإِمَّا أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ سَالِـمًا مِن جميعِ الذُّنوبِ؛ فيدخلَ الجنَّةَ مِن أَوَّلِ وهلةٍ معَ أَوَّلِ الدَّاخلين، وَإِمَّا أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ -وهو مُصِرٌّ عَلَىٰ كبيرةٍ-؛ فعندَ ذلك هو بينَ أمرينِ، إِمَّا أَنْ يَعْفُوَ اللهُ عنهُ، ويَتجاوزَ عنهُ؛ فيُدخلَهُ الجنَّةَ مباشرةً، وَإِمَّا أَنْ يُجَازِيَهُ بِجُرْمِهِ وذنبِهِ؛ فَيُدْخَلَ النَّارَ، ثم يُخْرَجَ مِنها فَيُدْخَلَ الجنَّةَ بعدَ ذلك.

وفضائلُ التَّوحيدِ في الدُّنيا والآخرةِ كثيرةٌ جدًّا، وَرَدَتْ بها نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ.



(٣)

باب مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وقَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَىٰ الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»، قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٠ .

أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

تحقيقُ التَّوحيدِ هو تَخليصُهُ وتَصفيتُهُ من شَوائبِ الشِّرْكِ والبِدَعِ والمعاصِي، ومَعرفتُهُ والاطِّلاعُ علىٰ حقيقتهِ والقيامُ بها، ومِمَّنْ حَقَّقَهُ سبعونَ ألفًا يُدخلون الجنَّةَ بلا

حسابٍ ولا عذابٍ، وأَخَصُّ صفاتِهم تَرْكُ الأَسبابِ المكروهةِ معَ حاجتِهم إليها، كَتَرْكِ طلبِ الرُّقْيَةِ، وتَرْكِ طلبِ الكَيِّ تَوَكُّلًا عَلَىٰ اللهِ؛ لِعظيمِ إيمانِهم وشِدَّةِ يقينِهم، ولا يَتَشَاءَمُونَ لا بزمانٍ ولا بمكانٍ، ولا بأشخاصٍ، ولا بأحوالٍ، ولا بغيرِ، ذلك وعلىٰ ربِّهم يتوكَّلون؛ أي: عليهِ -وَحْدَهُ- يَعتمدونَ في جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ في الدُّنيا والآخرةِ.



(٤)
بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

وَقَالَ الخَلِيلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[2].

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: الرِّيَاءُ». وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ الله لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

لَـمَّا كانَ الشِّرْكُ -أَعْظَمَ ذَنْبٍ- مُنافيًا للتَّوحيدِ؛ ويُوجِبُ الخُلُودَ في النَّارِ وحِرمانَ الجنَّةِ -إذا كانَ شِرْكًا

---

(١) سورة النساء الآية: ٤٨.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٣٥.

أَكبرَ-؛ فإنه يجب على المسلمِ الخوفُ منه والحذرُ مِمَّا يُوصِلُ إليهِ، سواءٌ كانَ شِرْكًا أكبرَ، أو شِرْكًا أصغرَ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ ﴾(١)؛ وذلك بمعرفتهِ ومعرفةِ وسائلهِ وذرائعهِ؛ حتىٰ لا يقتربَ منه ولا يقعَ فيه، والشِّرْكُ ضِدُّ التَّوحيدِ؛ فإذا عَرَفْتَ الشِّرْكَ؛ عَرَفْتَ التَّوحيدَ.

وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ



(١) سورة النساء الآية: ٤٨ .

(٥)
بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله» .

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً؛ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) سورة يوسف الآية: ١٠٨ .

قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ؛ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ، حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

(يَدُوكُونَ) أَيْ يَخُوضُونَ.

لا يَنبغي لمن عَرَفَ التَّوحيدَ وفضائلَهُ أَنْ يقتصرَ علىٰ نفسِهِ، بل يجبُ عليهِ أن يدعوَ غيرَهُ إلىٰ توحيدِ اللهِ، وإفرادِهِ بالعبادةِ، والإيمانِ بما جاءتْ بهِ رُسُلُهُ، وذلك يتضمَّنُ الدَّعوةَ إلىٰ أركانِ الإسلامِ، وأركانِ الإيمانِ، والإحسانِ، وفعلِ الواجباتِ، واجتنابِ المحرَّماتِ، حسبَ قدرتِهِ،

وعلىٰ قَدْرِ علمهِ بالحِكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والمجادلةِ بالتي هي أَحْسَنُ، كما هو سبيلُ المرسَلِينَ وأَتباعِهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقال ﷺ: «بَلِّغوا عَنِّي ولو آيةً»، وقال: «مَن دَعَا إلىٰ هُدًىٰ؛ كانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذلك مِن أُجورِهم شيئًا».



(١) سورة فصلت الآية: ٣٣.

(٦)

بابُ تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ

وقولِه تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[١].

وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾[٢] الآية، وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[٤].

وفي الصَّحِيح عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ قالَ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وكفَر بما يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مالُه ودمُه، وحِسابُه علىٰ الله ﷻ».

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٥٧ .

(٢) سورة الزخرف:٢٦-٢٧ .

(٣) سورة التوبة الآية: ٣١ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٦٥ .

أي: إيضاحُ التَّوحيدِ، توحيدُ الإلهيَّةِ؛ لأنه مقصودُ تصنيفِ الكتابِ، وبيانُ مدلولِ شهادةِ أَنْ (لَا إلهَ إلَّا اللهُ) نفيًا وإثباتًا، وما تَضمَّنتْهُ من إخلاصِ العبادةِ للهِ وَحْدَهُ.

وفي الآياتِ التي في البابِ بخصوصِها مزيدُ بيانٍ لمعنىٰ كلمةِ الإخلاصِ، وما دَلَّتْ عليهِ مِن توحيدِ العبادةِ، والبراءةِ مِن عبادةِ ما سِوَىٰ اللهِ مِنَ الشُّفعاءِ والأَندادِ، والحُجَّةِ علىٰ مَن تَعلَّقَ بالأولياءِ والصَّالحين.

وشَرَحَ هذهِ التَّرجمةَ ما بعدَها من الأبوابِ؛ ففيها ما يُبيِّنُ التَّوحيدَ ويُفَسِّرُهُ ويُوَضِّحُهُ؛ فَافْهَمْهَا وَاعْقِلْهَا؛ تَعْرِفِ التَّوحيدَ الذي بَعَثَ اللهُ بهِ الرُّسُلَ، وأَنزلَ لبيانهِ الكُتُبَ.



(٧)

بَاب مِنَ الشِّرْك لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1] الآية.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»، وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّىٰ، فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣٨ .

﴿أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[(١)] .

لبسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ ونحوِها، كالوَدَعَةِ، والتَّمِيمَةِ، والخَرَزِ ونحوِها؛ مما يُعلَّقُ علىٰ الأطفالِ، أو البيوتِ، أو الدوابِّ، أو السَّيَّاراتِ، أو المحلَّاتِ التِّجاريَّةِ؛ لِدَفْعِ البَلَاءِ مِن عَيْنٍ وغيرِها، قبلَ أن يقعَ، أو لِرَفْعِهِ بعدَ أن يقعَ، وذلكَ شِرْكٌ أصغرُ؛ إذا اعْتُقِدَ أنها مجرَّدُ سببٍ، أَمَّا إذا اعْتُقِدَ أنها -بذاتِها- تَدفعُ البَلَاءَ، أو تَرفعُهُ مِن دونِ اللهِ؛ فذلكَ شِرْكٌ أكبرُ.



---

(١) سورة يوسف الآية: ١٠٦ .

(٨)
مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوِدَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِّلَ إِلَيْهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَىٰ الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والرُّقَىٰ: هِيَ الَّتِي تُسَمَّىٰ الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ

وَالْحُمَةِ.

والتِّوَلَةُ: هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَىٰ زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ.

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ؛ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ».

الرُّقَىٰ جائزةٌ؛ إن كانتْ من القرآنِ أو السُّنَّةِ أو بأسماءِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ، وكانت معلومةَ المعنىٰ، ولم يُعتقدْ أنها تُؤثِّرُ بذاتِها، بل بتقديرِ اللهِ ﷻ، وخَلَتِ الرُّقْيَةُ مِنَ الشِّرْكِ، وخَلَتْ مِنْ دعاءِ غيرِ اللهِ، أو الاستغاثةِ بغيرِهِ من الأمواتِ أو الجِنِّ؛ فبهذهِ الشُّروطِ تكونُ الرُّقْيَةُ مشروعةً، وهي مستحبَّةٌ في حَقِّ الرَّاقِي؛ لما فيها مِنَ النَّفْعِ للخَلْقِ، وجائزةٌ في حَقِّ

المريضِ، إِلَّا أنه يَنبغي له أَلَّا يَبتدِئَ بطلبِها، توكُّلًا علىٰ اللهِ، بل يَرْقِي نَفْسَهُ بنفسِهِ.

وأَمَّا التَّمائمُ التي تُعلَّقُ علىٰ الأَولادِ يَتَّقُونَ بها البلاءَ، فإذا كانتْ من الخيوطِ ونحوِها؛ فهي شِرْكٌ أصغرُ، أَمَّا إذا كانتْ من القرآنِ والأدعيةِ والأسماءِ الحسنىٰ؛ فهي مُحرَّمةٌ؛ سَدًّا للذَّريعةِ، وصيانةً للقرآنِ الكريم .

وأما «التِّوَلَةُ»؛ فهي شيءٌ يصنعونَهُ، يزعمون أنه يُحبِّبُ المرأةَ إلىٰ زوجِها، والرَّجلَ إلىٰ امرأتهِ، وذلكَ محرَّمٌ لأنه نوعٌ من السِّحْرِ.



(٩)

بَابُ مَنْ تَبَرّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾[1].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اَللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ! وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ! فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (الله أَكْبَرُ! إِنَّهَا اَلسُّنَنُ! قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ). رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

«التَّبَرُّكُ» منه ما هو مشروعٌ، وهو ما وردَ في الكتابِ

---

(١) سورة النجم: ١٩ -٢٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٨.

والسُّنَّةِ، ومنه ما هو ممنوعٌ بَيَّنَتْهُ وحذَّرتْ منه أَدِلَّةُ الكتابِ والسُّنَّةِ.

والتَّبَرُّكُ الممنوعُ قسمانِ:

١-التَّبَرُّكُ بالمخلوقِ مِن قبرٍ، أو شجرٍ، ونحوِ ذلك، يُعتقَدُ حصولُ البَرَكَةِ منه، أو أنه يُقَرِّبُهُ إلى اللهِ، أو يَشفعُ له عندَهُ؛ فهذا شِرْكٌ أكبرُ.

٢-أَمَّا التَّبَرُّكُ بالمخلوقِ؛ اعتقادًا أن التَّبَرُّكَ بهِ قُرْبَةٌ إلى اللهِ يُثِيبُ عليها، لا لأنه يَضُرُّ أو يَنفعُ، كالتَّبَرُّكِ بكسوةِ الكعبةِ، أو مقامِ إبراهيمَ، أو جدرانِ الحرمينِ الشَّريفينِ؛ فذلك بِدْعَةٌ ووسيلةٌ إلى الشِّرْكِ.



(١٠)
باب ما جاءَ في الذّبْحِ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(١)].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾[(٢)].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله فضل الله، فمَن لَعَنه الله فهو الملعونُ المُبعَد المطرود، يكونُ مع إبليسَ؛ لأن إبليس لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ الله مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، لَعَنَ الله مِنْ غَيْرِ مَنَارَ الْأَرْضِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ قَالُوا وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٦٢ .

(٢) سورة الكوثر الآية: ٢ .

صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا قَرِّبْ قَالَ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ قَالُوا لَهُ قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ اَلنَّارَ وَقَالُوا لِلْآخَرِ قَرِّبْ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ الله ﷻ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ؛ فَدَخَلَ اَلْجَنَّةَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

«الذَّبْحُ» للهِ تعالىٰ عبادةٌ جليلةٌ؛ ثَبَتَتْ بالأَدِلَّةِ من الكتابِ والسُّنَّةِ. وصَرْفُهَا لغيرِ اللهِ تعالىٰ شِرْكٌ أكبرُ، كالذَّبْحِ للجِنِّ، أو للشَّجَرِ، أو الحَجَرِ، أو لأصحابِ القبورِ. وهذا واقعٌ في بعضِ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، فإنَّهم يُعظِّمون القبورَ، ويُغْلُونَ في أهلِها، ويَذبحون لهم الذَّبائحَ والنُّذُورَ، فيجبُ علىٰ المسلمِ الحَذَرُ مِنْ ذلك، واجتنابُهُ والتحذيرُ منه.

❋ ❋ ❋

(١١)
باب لا يُذْبَحُ للَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[1] الآية.

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ اَلضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبَوَانَةَ، فَسَأَلَ اَلنَّبِيَّ ﷺ؟ فقَالَ «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ اَلْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟». قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ اِبْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا.

في البابِ المنعُ من الوسيلةِ التي تُوصِلُ للذَّبْحِ لغيرِ اللهِ؛ وذلك بمنعِ الذَّبْحِ للهِ في مكانٍ يُذْبَحُ فيهِ لغيرِ اللهِ، كالمكانِ الذي فيه وثنٌ من أوثانِ الجاهليَّةِ، أو عيدٌ من أعيادِهم، أو كالمكانِ الذي يُذْبَحُ فيهِ لغيرِ اللهِ، كالأَضرحةِ والمقاماتِ، فَلَا يُذْبَحُ للهِ تعالىٰ عندَها، بل تُجْتَنَبُ تلك الأَمكنةُ، ولا يُذْبَحُ فيها للهِ تعالىٰ، ولو بعدَ زوالِها؛ سَدًّا لذرائعِ الشِّرْكِ ووسائلِهِ.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٨ .

(١٢)

باب مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ (١).

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ (٢).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ الله فَلَا يَعْصِهِ».

«النَّذْرُ» عبادةٌ؛ حيثُ مَدَحَ اللهُ الْـمُوفِينَ بهِ، وأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بالوفاءِ بِهِ، فَصَرْفُهُ لغيرِ اللهِ -تعالىٰ- شِرْكٌ أكبرُ؛ كالنَّذْرِ للجِنِّ، أو للموتىٰ، أو لقبورِهم، فذلك نَذْرُ شِرْكٍ ومعصيةٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الإنسان الآية :٧ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٧٠ .

(١٣)
باب مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

مَنِ استعاذَ بغيرِ اللهِ فيما لا يَقْدِرُ عليهِ إِلَّا اللهُ؛ فقد أَشْرَكَ الشِّرْكَ الأكبرَ، كالاستعاذةِ بالأَمواتِ، أو الِجنِّ. وأَمَّا الاستعاذةُ بالحَيِّ القادرِ؛ فجائزة، كالاستعاذةِ برجالِ الأمنِ من السَّارقين والمجرمين.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الجن الآية: ٦ .

(١٤)

باب من الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ الله أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ

وَقولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[1].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾[3] الآيتين.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[4].

وَرَوَىٰ اَلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ اَلنَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِالله ﷻ».

---

(١) سورة يونس: ١٠٦ –١٠٧.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ١٧.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ٥.

(٤) سورة النمل الآية: ٦٢.

في هذا البابِ تحريمُ الاستغاثةِ بغيرِ اللهِ، أو دعاءِ غيرِهِ مِنَ الأمواتِ والغائبين، وهو شِرْكٌ أكبرُ، فَمَنْ دَعَا الميِّتَ أَوِ الغائبَ فيما لا يَقْدِرُ عليهِ إلا اللهُ، أو استغاثَ بهم في كشفِ الضُّرِّ؛ فقد أَشْرَكَ الشِّرْكَ الأكبرَ.

أَمَّا دعاءُ الحَيِّ القادرِ، والاستغاثةُ بهِ؛ فجائزةٌ، كَمَنْ غَرِقَ ودَعَا شخصًا قريبًا منه يُجِيدُ السِّباحةَ، ونَادَاهُ واستغاثَ بهِ؛ لِيُنْقِذَهُ مِنَ الغرقِ.



(١٥)

باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[2].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهِمْ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[3].

وَفِيهِ : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ «اللهمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ وَفِي

---

(١) سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢ .

(٢) سورة فاطر الآية: ١٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٢٨ .

رِوَايَةٍ: «يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1]، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-! اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ الله شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله ﷺ! لَا أُغْنِك مِنْ الله شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ الله شَيْئًا».

الرَّدُّ علىٰ كلِّ شِرْكٍ، وبيانُ حالِ المدعُوِّينَ مِن دونِ اللهِ، وأنهم خَلْقُ اللهِ، لا يَنفعون ولا يَضرُّون، وهُمْ إِمَّا غائبون كالملائكةِ، أو أمواتٌ كالأنبياءِ والصَّالحين، أو جماداتٌ كالأشجارِ والأحجارِ والأصنامِ، ومما يُبَيِّنُ بُطْلَانَ الشِّرْكِ بالصَّالحين والتَّعلُّقِ بهم مِن دونِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ شُجَّ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ في «أُحُدٍ»؛ فلم يَدفعْ عن نفسهِ -وهو حَيٌّ-؛ فَغَيْرُهُ

---

(١) سورة الشعراء الآية: ١٤ .

مِنَ الصَّالِحينَ أَعجزُ -مِن بابِ أَوْلىٰ-. ولَـمَّا دَعَا علىٰ مَنْ آذَوْهُ؛ لم يُسْتَجَبْ له فيهم، بل نزلَ عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. فإذا كان النَّبِيُّ ﷺ ليسَ له مِنَ الأمرِ شيءٌ؛ فَغَيْرُهُ مِن بابِ أَوْلَىٰ. وكذلك ما صَرَّحَ بِهِ لأهلِ بيتِهِ بقوله: (اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا).

قال في «فتح المجيد»: «ففي هذهِ الحُجَجِ والبراهينِ في هذا البابِ ما يُبيِّنُ بطلانَ ما يَعتقدُهُ عُبَّادُ القبورِ في الأَولياءِ والصَّالحين، بل في الطَّواغيتِ، مِنْ أنهم يَنفعون مَنْ دَعَاهُمْ، ويَمنعون مَنْ لَاذَ بِحِمَاهُمْ».



(١٦)

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾(١).

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِذَا قَضَىٰ الله اَلْأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ اَلْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَيَسْمَعُ اَلْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا اَلْآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا عَلَىٰ لِسَانِ اَلسَّاحِرِ أَوْ اَلْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي

---

(١) سورة سبأ الآية: ٢٣.

سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ).

وَعَنْ اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا أَرَادَ الله تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ؛ أَخَذَتِ اَلسَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ- خَوْفًا مِنْ الله ﷻ فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ اَلسَّمَوَاتِ؛ صَعِقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ الله مِنْ وَحَيِّهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ اَلْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ، سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ: قَالَ اَلْحَقَّ، وَهُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ الله ﷻ ».

إذا سمعتِ الملائكةُ كلامَ اللهِ بالوحيِ إلىٰ جبريلَ؛ فزعتْ تعظيمًا وهيبةً حتىٰ يصيبَها مثلُ الغَشْيِ معَ عظمِ خِلْقَتِهم وقُوَّتِهم وقُدْرَتِهم؛ فكيف يَدعوهم أحدٌ من دونِ اللهِ؟ وغيرُ الملائكةِ ممَّن هو أضعفُ منهم -مِن بابِ أَوْلَىٰ- أَنْ لا يُدْعَىٰ ولا يُعْبَدَ، ففي -ذلكَ- الرَّدُّ علىٰ جميعِ فِرَقِ المشرِكين الذين يَعبدون مَن لا يُقَارِبُ الملائكةَ في خِلقتِهم وقُوَّتِهم ولا في صفةٍ مِن صفاتِهم .

(١٧)

باب الشَّفَاعَة

وقول الله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [(١)].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [(٢)].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [(٣)].

وَقَوْلِهِ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [(٤)].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [(٥)].

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٥١ .

(٢) سورة الزمر الآية: ٤٤ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٥ .

(٤) سورة النجم الآية: ٢٦ .

(٥) سورة سبأ الآية: ٢٢ .

قَالَ أَبُو اَلْعَبَّاسِ: «نَفَىٰ الله عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ اَلْمُشْرِكُونَ فَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اَلشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1] .

فَهَذِهِ اَلشَّفَاعَةُ اَلَّتِي يَظُنُّهَا اَلْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ -لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً -ثُمَّ يُقَالُ لَهُ اِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ».

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» فَتِلْكَ اَلشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ الله، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِالله.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ هُوَ اَلَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٨ .

لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ اَلْمَقَامَ اَلْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ اَلَّتِي نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ اَلشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَقَدْ بَيَّنَ اَلنَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ اِنْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

رَدَّ المصنِّفُ علىٰ مَن يبرِّرون شِرْكَهم بدعاءِ الملائكةِ والأنبياءِ والأولياءِ، ويقولون: نحنُ نعلمُ أَنَّهم مخلوقون، ولكنَّهم لهم جَاهٌ عندَ اللهِ، فنُريد منهم أن يَشفعوا لنا عندَ الله، فأَقَامَ الأدلَّةَ علىٰ أن ذلك هو عينُ الشِّرْكِ الذي نَهىٰ اللهُ عنه، وأَبْطَلَ كلَّ وسيلةٍ تُوصِلُ إليه، كما قال تعالىٰ: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله). فمَن قال لصاحبِ القبر: يا فلانُ، اشفعْ لي؛ فقد أَشْرَكَ الشِّرْكَ الأكبرَ.



(١٨)

باب قَوْلِ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[(١)].

وَفِي اَلصَّحِيح: عَنْ اِبْنِ اَلْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ اَلْوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْل، فَقَالَ لَهُ يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله فَقَالَا لَهُ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخرَ مَا قَالَ هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾

لَمَّا كانَ النبيُّ ﷺ غيرَ قادرٍ علىٰ هدايةِ مَن أَحَبَّ هِدَايَتَهُ، وهو عَمُّهُ أبو طالبٍ؛ تَبيَّنَ أنه لا يقدرُ إِلَّا علىٰ ما أَقْدَرَهُ اللهُ تعالىٰ عليه؛ فبطلتْ عبادتُهُ مِن دونِ الله؛ فعبادةُ غيرِهِ أَبْطَلُ وأَبْطَلُ، كدعاءِ الأمواتِ والصَّالحين، والاستعانةِ

---

(١) سورة القصص الآية: ٥٦ .

بهم، وسؤالهم تفريجَ الكربِ، وطلبِ الشَّفاعةِ منهم؛ فكلُّ ذلك شِرْكٌ أكبرُ مُخْرِجٌ من الـمِلَّةِ.



(١٩)

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وَقَوْلِ الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[(١)].

وَفِي اَلصَّحِيحِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[(٢)]. قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ اَلشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ اَلَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ اَلْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ».

وَعَنْ عُمَرَ؛ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « لَا تُطْرُونِي كَمَا

(١) سورة النساء الآية: ١٧١ .

(٢) سورة نوح الآية: ٢٣ .

أَطْرَتْ اَلنَّصَارَىٰ اِبْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ » أَخْرِجَاهُ.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ» .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ - قَالَهَا ثَلَاثًا».

سببُ كفرِ بني آدمَ وتَرْكُهم دِينَهم؛ هو الغُلُوُّ، وتجاوزُ الحَدِّ في الصَّالحين من الأنبياءِ والأولياءِ وغيرِهم، بالقولِ والاعتقادِ فيهم؛ فإنه أصلُ الشِّرْكِ قديمًا وحديثًا، وذلك بالغُلُوِّ في مدحِهم وتعظيمِهم، والبناءِ علىٰ قبورِهم، أو شَدِّ الرَّحْلِ لزيارتها، أو تصويرِ صُوَرِهم، أو اعتقادِ قدرتِهم في التأثيرِ، أو مشاركتِهم اللهَ في التَّدبيرِ، ونحوِ ذلك مِن صورِ الغُلُوِّ. ومَن رَفَعَ أحدَ الصَّالحين فوقَ منزلتهِ التي أَنزلَهُ اللهُ تعالىٰ إِيَّاها؛ فقد غَلَا فيه. أَمَّا أهلُ الحقِّ فإنهم يُحبُّون الصَّالحين في اللهِ تعالىٰ، ويُوالونهم بقدرِ إيمانِهم وصلاحِهم، ولكنَّهم يَبْرَؤُونَ مِنِ ادِّعَاءِ عِصْمَتِهِمْ والغُلُوِّ فيهم أحياءً وأمواتًا.

(٢٠)

باب ما جاء من التَّغْلِيظ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رجل صالحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟!

فِي اَلصَّحِيحِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَكَرَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ اَلصُّوَرِ، فَقَالَ: (أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ أَوْ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ اَلصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ اَلْخَلْقِ عِنْدَ الله) فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ اَلْفِتْنَتَيْنِ فِتْنَةَ اَلْقُبُورِ، وَفِتْنَةَ اَلتَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اِغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ الله عَلَىٰ اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ الله أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ الله قَدْ اِتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اِتَّخَذَ

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

فَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي اَلسِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ : (خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) فَإِنَّ اَلصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ اَلصَّلَاةُ فِيهِ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّىٰ فِيهِ، يُسَمَّىٰ مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ : «جُعِلَتْ لِيَ اَلْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا».

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : «إِنَّ مِنْ شِرَارِ اَلنَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ اَلسَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَاَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ» وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

جاءتْ هذه النُّصوصُ وفيها تغليظٌ وتهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ علىٰ من يعبدُ اللهَ عندَ قبرِ رجلٍ صالحٍ، مع أنه لا يَقصدُ

إِلَّا اللهَ؛ فكيف إذا عَبَدَ الرَّجُلُ الصَّالحُ صاحبَ القبرِ؟ فإنَّ ذلك أَحَقُّ وأَوْلَىٰ بما هو أعظمُ من هذا التغليظِ؛ لأنه شِرْكٌ أكبرُ. وكلُّ وسيلةٍ تؤدِّي إلىٰ الشِّرْكِ؛ فهي محرَّمةٌ، ومُغَلَّظٌ فيها ومَنْهِيٌّ عنها أَشَدَّ النَّهْيِ.



(٢١)

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

رَوَىٰ مَالِكٌ فِي «اَلْمُوَطَّأِ» أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «اللهمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اِشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَىٰ قَوْمٍ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾[1] قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ اَلسَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو اَلْجَوْزَاءِ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلُتُّ اَلسَّوِيقَ لِلْحَاجِّ».

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ اَلْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ » رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ.

---

(١) سورة النجم الآية: ١٩ .

«الغُلُوُّ في قبورِ الصَّالحين» وسيلةٌ إلىٰ الشِّرْكِ وعبادةِ الأمواتِ، ومِن صورِ الغلوِّ فيها: البناءُ عليها، واتخاذُ المساجدِ عليها، والصَّلَاةُ عندَها، والذَّبْحُ والنَّذْرُ للهِ عندَها؛ فإنَّ ذلك يَجعلُها أوثانًا؛ وذلك لأنَّها -وإنْ كانتِ الصَّلَاةُ والذَّبْحُ والنَّذْرُ للهِ- لكنَّ تخصيصَ فِعْلِها -عندَ قبورِ الصَّالحين- وسيلةٌ إلىٰ الشِّرْكِ، وصَرْفِ هذه العباداتِ للأمواتِ. وقد نَهىٰ الشَّرْعُ عن ذلك أَشَدَّ النَّهي.



(٢٢)
باب مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[1] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي، عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلاً يَجِيءُ إِلَىٰ فُرْجَةً كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةَ».

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٢٨ .

حَمَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جنابَ التَّوحيدِ حمايةً مُحكمةً، وسَدَّ كلَّ طريقٍ يُوصِلُ إلىٰ الشِّرْكِ، ونَهىٰ عن أقوالٍ وأفعالٍ يُخشىٰ أن تُوصِّلَ إلىٰ الشِّرْكِ؛ لأنه حريصٌ علىٰ أُمَّتِهِ رؤوفٌ رحيمٌ بهم، ومِن ذلك نَهْيُهُ أُمَّتَهُ أن يجعلوا قبرَهُ عيدًا يَعتادون زيارتَهُ في وقتٍ محدَّدٍ، ويَعكفون عندَه ويُصلُّون عندَهُ. وأَخْبَرَ أن الصَّلَاةَ والتَّسليمَ عليه يَبْلُغُهُ من القريبِ والبعيدِ علىٰ السَّوَاءِ؛ فلا حاجةَ إلىٰ شَدِّ الرَّحْلِ والسَّفَرِ لزيارتهِ (والمشروعُ هو شَدُّ الرَّحْلِ لزيارةِ مسجدهِ الشَّريفِ؛ ومِن ثمَّ -تبعًا لها- زيارةُ قبرهِ والسَّلَامُ عليهِ)؛ فإنَّ اتخاذَ القبورِ عيدًا بتحرِّي الصَّلاةِ عندَها، والبناءِ عليها وشدِّ الرَّحْلِ إليها، والغُلُوِّ فيها؛ بأن تُجْعَلَ محلَّ اجتماعٍ وارتيادٍ، تُرَتَّبُ لها زياراتٌ مخصوصةٌ؛ مِن أَقْرَبِ وسائلِ الشِّرْكِ، وأَبْلَغِ أسبابِ الفتنِ؛ فإن الفتنةَ بالقبورِ أعظمُ من الفتنةِ بالأشجارِ والأحجارِ.

❁ ❁ ❁

(٢٣)

باب ما جاء أنَّ بعض هذهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[(١)]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[(٢)]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[(٣)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ! اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟» أَخْرِجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ اَلْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي

---

(١) سورة النساء الآية: ٥١ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٠ .

(٣) سورة الكهف الآية: ٢١ .

سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ اَلْكَنْزَيْنِ اَلْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ».

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي اَلْأَئِمَّةَ اَلْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اَلسَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ اَلسَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ، ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ اَلْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

دَلَّتِ الأَدِلَّةُ علىٰ وقوعِ الشِّرْكِ في هذهِ الأُمَّةِ، وأنَّ منهم مَن سيتبعون اليهودَ والنَّصارىٰ في عبادةِ الأوثانِ، ويُشركون باللهِ. وقُصِدَ -بهذا البابِ- الرَّدُّ علىٰ عُبَّادِ القبورِ الذين يَنطقون بالشَّهادتين ومع ذلك يَصرفون العباداتِ لأصحابِ القبورِ، فيَدْعُونهم، ويَستغيثون بهم، ويَذبحون لهم. ومع ذلك يَقولون: لا يقعُ في الأُمَّةِ شِرْكٌ، مع أن الشَّرْعَ والواقعَ دَلَّ علىٰ وقوعِ الشِّرْكِ في هذه الأُمَّةِ؛ لقولهِ ﷺ: (وحتىٰ تَعْبُدَ فئامٌ مِن أُمَّتِي الأَوثانَ).

ويَشهدُ لذلك ما نراهُ مَاثِلًا في واقعِ بعضِ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ من تعظيمِ قبورِ الصَّالحين، والبناءِ عليها، والعكوفِ عندَها، وصَرْفِ العباداتِ لأصحابِها، كالدُّعاءِ والاستغاثةِ والذَّبْحِ والنَّذْرِ؛ وهذا واقعٌ أليمٌ، ونسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ، وأن يُصْلِحَ أحوالَ المسلمين.

❋ ❋ ❋

(٢٤)

باب مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[(١)]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[(٢)].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اَلْجِبْتُ اَلسِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ اَلشَّيْطَانُ»

وَقَالَ جابِرٌ: «اَلطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ اَلشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اِجْتَنِبُوا اَلسَّبْعَ اَلْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: اَلشِّرْكُ بِالله، والسحر، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ اَلرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اَلْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ، وَقَذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِلَاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ».

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ٥١.

وَعَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» رَوَاهُ الترمذي وَقَالَ «اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

وَفِي «صَحِيحِ اَلْبُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ» قَالَ فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ».

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ» وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ.

قَالَ أَحْمَدُ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ ﷺ.

«السِّحْرُ» عزائمُ، ورُقًى، وكلامٌ يُتَكَلَّمُ بهِ؛ يُسْتَدْعَىٰ بهِ الجِنُّ والشَّياطينُ، وأدويةٌ؛ فيُمْرِضُ، ويَقتلُ، ويُفرِّقُ بينَ المرءِ وزوجِهِ، وما هم بِضَارِّينَ به من أحدٍ إلا بإذنِ اللهِ.

ولما كان كثيرٌ من أقسامِ السِّحرِ لا يَأتي إِلَّا بالشِّرْكِ والتَّوَسُّلِ بالأرواحِ الشَّيطانيَّةِ إلىٰ مقاصدِ السَّاحرِ؛ أَدخلَهُ المؤلِّفُ في «كتابِ التوحيد»، ولا يتمُّ للعبدِ توحيدٌ حتىٰ يَدَعَ السِّحْرَ -قليلَهُ وكثيرَهُ؛ ولهذا قَرَنَ بالشِّرَكِ مِن جهةِ ما فيهِ مِنَ

استخدامِ الشَّياطينِ، والتَّعلُّقِ بهم، والتَّقرُّبِ إليهم، ومِن جهةِ ما فيهِ مِن دَعْوَىٰ عِلْمِ الغيبِ.



(٢٥)

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ، وَالْجِبْتُ قَالَ الْحَسَنُ رَنَّةُ الشَّيْطَانِ إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» لَهُمُ الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

لَـمَّا ذَكَرَ المصنِّفُ -في البابِ السَّابقِ- السِّحْرَ؛ ذَكَرَ في هذا البابِ شيئًا مِن أنواعِ السِّحْرِ؛ لكثرتِها وخفائِها علىٰ النَّاسِ؛ حتىٰ ظَنُّوها مِن كراماتِ الأولياءِ، وآلَ بهم الأمرُ إلىٰ أَنْ عَبدوا أصحابَها؛ فوَقَعُوا في الشِّرْكِ. فمِن أنواعِ السِّحْرِ: العِيَافَةُ، وهي زَجْرُ الطَّيْرِ والتَّفاؤلُ بأسمائِها وأصواتِها وممرِّها، وهي عَكْسُ الطِّيَرَةِ. والطرقُ وهو الخطُّ يُخَطُّ بالأرضِ، يَخُطُّهُ الرَّمَّالون، ويَدَّعون به علمَ الغيبِ. ومنهُ الضَّرْبُ بالحَصَىٰ والوَدَعِ والخَرَزِ الذي يفعله النِّساءُ. والتَّنجيمُ وهو الإخبارُ عن المستقبلِ اعتمادًا علىٰ أحوالِ النجومِ. والنَّمِيمَةُ ذَكَرَها المصنِّفُ؛ لأنها تُشاركُ السِّحْرَ في التَّفريقِ بينَ الناسِ. ومِن أنواعهِ عَقْدُ السَّاحِرِ للعُقَدِ، ونَفْثُهُ

فيها؛ مُستعِينًا بالشَّياطينِ؛ لإصابةِ المسحورِ. وبعضُ البيانِ والبلاغةِ والفصاحةِ تعملُ عملَ السِّحْرِ؛ ففيها تمويهٌ وتلبيسٌ؛ لأثرِها وتأُثيرِها في القلوبِ والأسماعِ في تصويرِ الحقِّ بصورةِ الباطلِ، والباطلِ بصورةِ الحَقِّ. أَمَّا البيانُ لتوضيحِ الحقِّ ونصرتهِ؛ فهو ممدوحٌ.



(٢٦)

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ –وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا» –: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ ».

وَلِأَبِي يَعَلَىٰ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ مَرْفُوعًا: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ : « وَمَنْ أَتَىٰ » إِلَىٰ آخِرِهِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: «الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ».

وَقِيلَ هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ) وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ «مَا أَرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ».

الكُهَّانُ: جمعُ كاهنٍ، وهو الذي يُخْبِرُ عن المغيَّباتِ الكائنةِ والمستقبليَّةِ؛ اعتمادًا علىٰ الاستعانةِ بالشَّياطينِ،

كالعَرَّافين، والمنجِّمِين، والرَّمَّالين، وكلِّ مَن يَدَّعي علمَ الغيبِ؛ لأنَّ اللهَ هو المتفرِّدُ بعلمِ الغيبِ. فَمَنِ ادَّعَىٰ مشاركةَ اللهِ في ذلك، أو صَدَّقَهُ؛ فقد جَعَلَ للهِ شريكًا فيما هو مِن خصائصهِ. وكثيرٌ من الكهانةِ لا تَخلو من الشِّرْكِ، والتَّقرُّبِ إلىٰ الوسائطِ التي تَستعينُ بها علىٰ دعوىٰ العلومِ الغيبيَّةِ؛ فهو شِرْكٌ مِن جهةِ دعوىٰ مشاركةِ اللهِ في علمهِ، ومِن جهةِ التَّقرُّب إلىٰ غيرِ اللهِ.



(٢٧)

باب ما جاء في النُّشْرَة

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ».

وَفِي «الْبُخَارِيِّ» عَنْ قَتَادَةَ قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيِّبِ رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَحِلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحَرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشَرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ، بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَالثَّانِي النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

«النُّشْرَةُ» هي حَلُّ السِّحْرِ عن المسحورِ، فإن كانتْ بالرُّقْيَةِ والأدويةِ المباحةِ؛ فهذا جائزٌ. وإنْ كانتْ بسِحْرٍ مثلِهِ؛ فهي ممنوعةٌ ومحرَّمةٌ، وذلك مِن عملِ الشَّيطانِ.



(٢٨)

باب ما جاء في التطير

وَقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ» أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: « وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ».

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ:

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٣١.

(٢) سورة يس الآية: ١٩.

اللهمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إلا. وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ».

قَالُوا فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ اللهمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ».

«التَّطَيُّرُ» هو «التَّشَاؤُمُ»، وكان أهلُ الجاهليَّةِ يَتَشَاءَمُون بالطُّيورِ، وإذا رَأَوْهَا تَطِيرُ في جهةٍ؛ تَشَاءَمُوا ورَجَعُوا عمَّا عزموا عليه مِن سفرٍ أو زواجٍ، ثم صاروا يَتشاءَمون بكلِّ

شيءٍ، بالزَّمانِ والمكانِ والآدميِّين، وغيرِ ذلك.

و«الطِّيَرَةُ» ما أَمْضَاكَ في أَمْرِكَ، أو رَدَّكَ عنه، وهي شِرْكٌ أَصغرُ، وتدلُّ علىٰ نقصٍ في الإيمانِ، وضعفٍ في العقلِ؛ إذْ كيف يَقبلُ عاقلٌ مِثْلَ هذهِ الخزعبلاتِ والخرافاتِ والاعتقاداتِ الفاسدةِ، فيجبُ أن يتجنَّبها المسلمُ، ويَمضي في أُمورهِ متوكِّلًا علىٰ رَبِّهِ، حَسَنَ الظنِّ بهِ -تعالىٰ-، مُتفائِلًا في أُمورهِ كُلِّها، مكتفيًا بصلاةِ «الاستخارةِ الشَّرْعِيَّةِ» عن «الطِّيَرَةِ الشِّرْكِيَّةِ».



(٢٩)

باب ما جاء في التَّنْجِيم

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ» انْتَهَىٰ.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

التَّنجيمُ نوعان:

الأوَّل: علمُ التَّأثيرِ، وهو الاستدلالُ بالأحوالِ الفلكيَّةِ علىٰ الحوادثِ الأرضيَّةِ، وهو ينقسمُ إلىٰ ثلاثة أقسامٍ، كلُّها

محرَّمةٌ:

١) إذا اعْتُقِدَ أن الكواكبَ هي التي تَخلقُ هذه الأشياءَ الكونيَّةَ، وما يحدثُ مِن خيرٍ وشرٍّ؛ فهذا كفرٌ صريحٌ، مثل قولِ مُشركي قريش (مُطِرَنَا بِنَوءِ كذا وكذا).

٢) الاستدلالُ بالكواكبِ علىٰ الحوادثِ المستقبليَّةِ؛ فهذا من ادِّعاءِ علمِ الغيبِ، وهو كفرٌ، كالمنجِّمين الذين يُخبِرون عن أحداثٍ مستقبليَّةٍ اقتصاديَّةٍ وسياسيَّةٍ، وغيرِها، وكالأبراجِ التي في المجلَّاتِ والصُّحفِ، كبرجِ الجوزاء، والحوتِ، والعقربِ، وغيرِها، فتصديقُ ذلك واعتقادُ صِحَّةِ ما فيها عن صاحبِ البرج، وعمَّا سيجري له في المستقبل؛ فهذا من التَّنجيمِ وادِّعاءِ علمِ الغيبِ؛ وهو كفرٌ باللهِ تعالىٰ.

٣) إذا اعْتُقِدَ أن الكواكبَ مجرَّدُ أسبابٍ للتأثيرِ، وأَمَّا الذي يَخلقُ الأحداثَ فهو اللهُ تعالىٰ؛ فذلك شِرْكٌ أصغرُ.

الثاني: علمُ التَّسيير، فهو الاستدلالُ بالكواكبِ علىٰ القِبْلَةِ والجهاتِ، وأوقاتِ الصَّلاةِ، وأوقاتِ بَذْرِ الزرعِ؛ فهذا مُرخَّصٌ فيه؛ لأنه يُدْرَكُ بالمشاهدةِ والحِسِّ والخبرِ.

وهكذا كلُّ ما استندَ إلىٰ شيءٍ محسوسٍ، وتجاربَ، ونظرٍ في سُنَنِ اللهِ الكونيَّةِ، كمعرفةِ أحوالِ الطقسِ، ونزولِ

المطرِ، أو معرفةِ وقتِ الكسوفِ والخسوفِ، فإنه لا يدخلُ في التَّنجيمِ أو الكهانةِ أو ادِّعاءِ علمِ الغيب.



(٣٠)

باب ما جاء في الاسْتِسْقَاءِ بالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[(١)] .

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ .

قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ قَالَ: قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ،

---

(١) سورة الواقعة الآية: ٨٢ .

فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءَ كَذَا وَكَذَا فَأَنْزَلَ الله هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[1] إِلَىٰ قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[2] .

نسبةُ السُّقْيَا، ومجيءُ المطرِ إلىٰ النُّجومِ؛ بقوله: مُطِرْنَا بِنَجْمِ، أو نَوْءِ كذا؛ فلا يخلو القائلُ:

إِمَّا أن يعتقدَ أن لها تأثيرًا في إنزالِ المطرِ، أو يعتقدَ أن النُّجومَ هي التي تخلقُ المطرَ، أو دَعَاها مِن دونِ اللهِ؛ لتُنزلَ المطرَ، كاعتقادِ مُشركي مكة، وهذا كله شِرْكٌ أكبرُ.

وإِمَّا أن ينسبَ إنزالَ المطرِ إلىٰ النَّجْمِ، ويعتقدَ أن اللهَ هو الفاعلُ، وأن النَّجْمَ مجرَّدُ سببٍ؛ فهذا شِرْكٌ أصغرُ، وهذا هو الذي نَفَاهُ النَّبيُّ ﷺ، وأَبْطَلَهُ، وبَيَّنَ أنه مِن أمرِ الجاهليَّةِ؛ حمايةً لجنابِ التَّوحيدِ، وسَدًّا لذرائعِ الشِّرْكِ، ولو بالعباراتِ

---

(١) سورة الواقعة الآية: ٧٥.

(٢) سورة الواقعة الآية: ٨٢.

الموهِمَةِ. والواجبُ شكرُ اللهِ تعالىٰ بنسبةِ نعمةِ إنزالِ المطرِ إليه تعالىٰ، وأن يقولَ العبدُ: «مُطِرْنَا بفضلِ اللهِ ورحمتهِ».



(٣١)

باب قَوْلِ الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2].

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٥ .

(٢) سورة التوبة الآية: ٢٤ .

فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ : «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ» إِلَىٰ آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي الله، وَأَبْغَضَ فِي الله، وَوَالَىٰ فِي الله، وَعَادَىٰ فِي الله، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ الله بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَىٰ أَهْلِهِ شَيْئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[1] قَالَ: (الْمَوَدَّةُ).

أصلُ التَّوحيدِ ورُوحُهُ: إخلاصُ المحبَّةِ للهِ -وَحْدَهُ-، وهي أصلُ التَّألُّهِ والتَّعبُّدِ له، بل هي حقيقةُ العبادةِ، ولا يتمُّ

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٦ .

التَّوحيدُ حتىٰ تكتملَ محبَّةُ العبدِ لربِّهِ، وتسبقَ محبَّتُهُ جميعَ المحابِّ وتغلبَها، ويكونَ لها الحكمُ عليها. وأقسامُ المحبَّةِ هي:

١-محبَّةُ اللهِ، التي هي أصلُ الإيمانِ والتَّوحيدِ.

٢-المحبَّةُ في اللهِ، وهي محبَّةُ أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ، واتِّباعُهم، ومحبَّةُ ما يُحبُّهُ اللهُ مِنَ الأعمالِ والأزمنةِ والأمكنةِ، وغيرِها، وهذه تابعةٌ لمحبَّةِ اللهِ -تعالىٰ- ومُكمِّلةٌ لها.

٣- محبَّةٌ معَ اللهِ، وهي محبَّةُ المشرِكين لآلهتِهم، وهي أصلُ الشِّرْكِ، ومِنْ ذلكَ: محبَّةُ قبورِ الأولياءِ والصَّالحين، لها مِثْلُ محبَّةِ اللهِ أو أَشَدُّ؛ وذلكَ شِرْكٌ أكبرُ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1] .

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٥ .

(٣٢)

باب قَوْلِ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[1].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[2].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[3].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله إِنَّ رِزْقَ الله لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رضي الله عنه وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ،

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٧٥ .

(٢) سورة التوبة الآية: ١٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية: ١٠ .

وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

«الخوفُ» مِن أجلِّ العباداتِ التي يجبُ إخلاصُها لله تعالىٰ. والخوفُ ثلاثةُ أقسام:

١- خوفُ السِّرِّ، وهو أن يخافَ مِن وثنٍ، أو صاحبِ قبرٍ أن يُصِيبَهُ بما يَكرهُ، وهذا شِرْكٌ أكبرُ.

٢- أَنْ يَترِكَ الإنسانُ ما يجبُ عليهِ، كالأَمْرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المنكَرِ؛ خوفًا من الناس؛ وهذا محرَّمٌ، وشِرْكٌ أصغرُ.

٣- الخوفُ الطبيعيُّ، كالخوفِ مِن عدوٍّ، أو سَبُعٍ؛ فهذا لا يُذَمُّ.



(٣٣)

باب قَوْلِ الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢] اَلْآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[٤] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي اَلنَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ اَلْآيَةَ، رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.

«التَّوَكُّلُ» عبادةٌ عظيمةٌ، وهو الاعتمادُ علىٰ اللهِ -وَحْدَهُ-؛ كفايةً وحسبًا في جلبِ المنافعِ، ودفع المضارِّ، في

---

(١) سورة المائدة الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٣) سورة الطلاق الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٧٣.

الدُّنيا والآخرةِ. والوثوقُ بهِ في حصولِ المطلوبِ مع بذلِ الجهدِ في بذلِ الأسبابِ دونَ الاعتمادِ عليها، وهو علىٰ ثلاثةِ أقسام:

١- التَّوكُّلُ علىٰ غيرِ اللهِ في الأُمورِ التي لا يَقْدِرُ عليها إِلَّا اللهُ، كالذين يتوكَّلون علىٰ الأمواتِ والغائبِين، ونحوِهم مِنَ الطَّواغيتِ في تحقيقِ المطالبِ من النَّصْرِ، والرِّزْقِ، أو الشِّفاءِ من المرضِ، أو الشَّفاعةِ؛ وهذا شِرْكٌ أكبرُ.

٢- التَّوكُّلُ في الأسبابِ الظَّاهرةِ، كَمَنْ يتوكَّلُ علىٰ سلطانٍ، أو أميرٍ، أو أَيِّ شخصٍ حيٍّ قادرٍ، فيما أَقْدَرَهُ اللهُ عليهِ مِن عطاءٍ، أو دفعِ أذًىٰ؛ فهذا شِرْكٌ أصغرُ؛ لأنه اعتمادٌ علىٰ الشَّخْصِ.

٣- والجائزُ هو أن يُوَكِّلَ نائبًا عنه في أمورِ دنياهُ، دونَ أن يعتمدَ عليهِ؛ لأنَّ الأسبابَ لا يُعتمَدُ عليها، وإنما يُعتمَدُ علىٰ اللهِ الذي هو مسبِّبُ الأسبابِ، ولا يقولُ: «تَوكَّلتُ عليهِ»، بل يقول: «وَكَّلْتُهُ».



(٣٤)

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]

وقولُه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[2] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِالله وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله» رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

«الأَمْنُ مِن مكرِ اللهِ تعالىٰ، والقُنُوطُ مِن رحمةِ اللهِ» مِن أعظمِ الذُّنوبِ المنافيةِ لكمالِ التَّوحيدِ. والأمنُ مِن مكرِ اللهِ دليلٌ علىٰ ضعفِ الإيمانِ، فمَن أَمِنَ مكرَ اللهِ؛ لم يُبَالِ بما

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٩٨ .

(٢) سورة الحجرات الآية: ٥٦.

تَرَكَ من الواجباتِ، وما فَعَلَ من المحرَّماتِ؛ لعدمِ خوفهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ. والواجبُ أن يجمعَ الإنسانُ بينَ الخوفِ والرجاءِ؛ فلا يُغَلِّبَ الرجاءَ فَيَأْمَنَ مَكْرَ اللهِ، ولا يُغَلِّبَ الخوفَ فيَيْأَسَ مِن رحمةِ اللهِ.



(٣٥)

باب مِنَ الإِيمَانِ بِالله الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ الله

وَقَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[1].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ الله، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ».

وَلَهُمَا عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

---

(١) سورة التغابن الآية: ١١.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

«الصَّبْرُ علىٰ الأقدارِ» واجبٌ، وضِدُّهُ محرَّمٌ، وهو الجَزَعُ الْـمُنْقِصُ لكمالِ التَّوحيدِ. والصَّبْرُ ثلاثةُ أقسامٍ:

١- صبرٌ علىٰ الطَّاعاتِ حتىٰ يُؤدِّيَها .

٢- وصبرٌ علىٰ المعاصِي حتىٰ يَجتنبَها .

٣- وصبرٌ علىٰ ما قَدَّرَهُ اللهُ عليهِ من المصائبِ؛ بحبسِ النفسِ عن الجَزَعِ، واللِّسانِ عن التَّسَخُّطِ، والجَوَارِحِ عن لطمِ الخدودِ وشَقِّ الجيوبِ، وكلِّ ما يدلُّ علىٰ الجَزَعِ وعدمِ الصبرِ؛ وذلك لأنَّ الجَزَعَ والتَّسَخُّطَ وعدمَ الصَّبْرِ علىٰ أقدارِ اللهِ -تعالىٰ- مُنْقِصٌ لكمالِ التَّوحيدِ.

ومَن لم يَصْبُرْ علىٰ قضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ؛ قد يَخرجُ بهِ ذلكَ إلىٰ الكفرِ؛ إذا اعترضَ علىٰ القَدَرِ.

(سُئِلَ النَّبيُّ: أَيُّ الناسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: الأنبياءُ، ثم الأَمْثَلُ، فالأَمْثَلُ ...). وهذا الحديثُ مِن أدلَّةِ التَّوحيدِ، فإذا

عَرَفَ العَبْدُ أن الأنبياءَ يُصيبهم البلاءُ في أنفسِهم؛ عَرَفَ أنهم لا يَملكون لأنفسِهم نفعًا ولا دفعًا؛ فَلَأَنْ لا يَملكونَهُ لغيرِهم أَوْلَىٰ وأَحْرَىٰ؛ فيَحْرُمُ قَصْدُهُمْ والرَّغبةُ إليهم في قضاءِ حاجةٍ أو تفريجِ كُرْبَةٍ.



(٣٦)

باب ما جاءَ في الرِّياءِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «قَالَ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ.

«الرِّيَاءُ»: هو إظهارُ العبادةِ؛ لقصدِ رؤيةِ النَّاسِ لها؛ فيَحمدوا صاحبَها. وفَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ يُصلِّي المرءُ للهِ،

---

(١) سورة الكهف الآية: ١١٠.

لكنْ يُزَيِّنُها؛ لِـمَا يَرَىٰ مِن نظرِ رجلٍ إليه، وهو شركٌ أصغرُ مُحْبِطٌ للعملِ الذي صَاحَبَهُ؛ ولذا وَرَدَ النَّهْيُ عنه، والتَّحذيرُ منه، وهو لا يُخْرِجُ مِنَ الملَّةِ، لكنَّهُ أخطرُ علىٰ المسلمِ مِنَ الكبائرِ؛ فقد ذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ أَنَّ صاحبَ الشِّرْكِ الأصغرِ، كالرِّيَاءِ؛ لابدَّ أن يُدْخَلَ مَنْ وَقَعَ فيهِ في النَّارِ؛ إذا لم يَتُبْ منه؛ لعمومِ قولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[1]، لكنه لا يخلدُ في النَّارِ. ولا شَكَّ أن الإخلاصَ للهِ ﷻ، والمتابَعةَ للنَّبيِّ ﷺ شرطٌ لصحَّةِ العملِ وقبولهِ. ولشفقةِ النبيِّ ﷺ علىٰ أُمَّتِهِ ونُصْحِهِ لهم حَذَّرَهم الرِّيَاءَ الذي هو أَخْوَفُ علىٰ الصَّالحين مِن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ. فإذا كانَ النَّبيُّ يَخافُهُ علىٰ ساداتِ الأولياءِ من الصَّحابةِ، معَ قُوَّةِ إيمانِهم وعلمِهم؛ فغيرُهم ممَّن هو دُونَهم بأضعافٍ أَوْلَىٰ بالخوفِ مِنَ الشِّرْكِ -صغيرِهِ وكبيرِهِ-.



(١) سورة النساء الآية: ٤٨.

(٣٧)

باب مِنَ الشِّرْكِ إِرادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾(١) الْآيَةِ.

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

مِن أنواعِ الشِّرْكِ الأصغرِ: «إرادةُ الإنسانِ بعملهِ الدُّنيا»، وهو أن يعملَ العملَ الذي شُرِعَ للآخرةِ (كالأَذَانِ،

---

(١) سورة هود الآية: ١٥.

والإمامةِ، وتعليمِ العلمِ الشَّرعيِّ، ونحوِ ذلك) وهو لا يُرِيدُ به إِلَّا طَمَعَ الدُّنيا؛ وذلك شِرْكٌ في النِّيَّةِ والإرادةِ والقصدِ.

وقد فَصَّلَ الشَّيْخُ عبدُالرحمنِ السَّعديُّ في هذه المسألة، أنقلُ كلامَهُ -بتصرُّفٍ يسيرٍ-، فقال: «والعملُ لأجلِ الدُّنيا، وتحصيلِ أعراضِها وأغراضِها، فيه تفصيلٌ:

فإن كانتْ إرادةُ العبدِ كلُّها للدُّنيا، ولم يكنْ له إرادةٌ لوجهِ اللهِ والدَّارِ الآخرةِ؛ فهذا ليسَ له في الآخرةِ مِن نصيبٍ، وقد وقعَ في الشِّرْكِ الأكبرِ.

وأَمَّا مَن عَمِلَ العملَ؛ لوجهِ اللهِ -تعالىٰ-، ولأجلِ الدُّنيا، والقَصْدَانِ مُتساويانِ أو مُتقاربانِ؛ فهذا ناقصُ الإيمانِ والتَّوحيدِ، وقد وقعَ في الشِّرْكِ الأصغرِ.

وَأَمَّا مَن عملَ للهِ -وَحْدَهُ-، وأَخلصَ في عملهِ إخلاصًا تامًّا، ولكنَّه يأخذُ علىٰ عملهِ جُعْلًا معلومًا؛ يَستعِينُ بهِ علىٰ العملِ والدِّينِ، كالجِعَالَاتِ التي تُجْعَلُ علىٰ أعمالِ الخيرِ وكالأوقافِ التي تُجْعَلُ علىٰ المساجدِ والمدارسِ والوظائفِ الدِّينيَّةِ لمن يقومُ بهذا الأمرِ؛ فهذا لا يَضُرُّ أَخْذُهُ في إيمانِ العبدِ وتوحيدِهِ.

❁ ❁ ❁

(٣٨)

بابُ من أطاعَ العلماءَ والأُمراءَ في تَحْريمِ ما أَحلَّ اللهُ أو تَحْليلِ ما حَرَّمَه فقد اتخذَهُم أَرْبابًا من دون الله

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!».

وَقَالَ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا اَلْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[1] أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ اَلشِّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ فَيَهْلَكَ.

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ اَلنَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ اَلْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] فَقُلْتُ لَهُ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ قَالَ أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ

(١) سورة النور الآية: ٦٣.

(٢) سورة التوبة الآية: ٣١.

اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ بَلَىٰ، قَالَ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

مَن أطاعَ العلماءَ والأمراءَ وغيرَهم في تحريمِ ما أَحَلَّ اللهُ، أو تحليلِ ما حَرَّمَ اللهُ؛ فقد جعلهم شركاءَ لله، وأَشْرَكَهم معه في التَشريعِ، وهذا ما يُسمَّىٰ بـ «شِرْكِ الطَّاعةِ».

وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا مِن دونِ اللهِ -حيث أَطاعوهم في التَّحليلِ والتّحريمِ- يكونون علىٰ وجهين:

الأول: أنهم يعلمون أنهم بَدَّلوا دِينَ اللهِ، فيَتَّبِعونهم علىٰ التَّبديل؛ فهذا كفرٌ وشِرْكٌ أكبرُ -وإن لم يكونوا يُصَلُّون لهم ويسجدون .

الثاني: أن يكون اعتقادُهم -بتحريمِ الحرامِ، وتحليلِ الحلالِ- ثابتـًا، لكنَّهم أَطاعوهم في معصيةِ اللهِ، مع علمِهم أنها معصيةٌ؛ فهؤلاء لهم حُكْمُ أمثالِهم مِن أهلِ الذُّنوبِ.

أما إذا كان هذا المحرِّمُ، أو المحلِّلُ، عالِـمًا مجتهدًا قَصْدُهُ اتِّباعُ الرسولِ ﷺ، لكنْ خَفِيَ عليه الحَقُّ، وأَخطأَ في

اجتهاده؛ فهذا لا يُؤاخِذُهُ اللهُ بخطئهِ. لكنَّ مَن عَلِمَ بخطئهِ واتَّبَعهُ علىٰ خطئهِ؛ فله نصيبٌ مِن هذا الشِّرْكِ الذي ذَمَّهُ اللهُ تعالىٰ، وهو «شِرْكُ الطَّاعةِ». وأَمَّا إن كان المتَّبِعُ للعالمِ المجتهدِ عاجزًا عن معرفةِ الحقِّ علىٰ التَّفصيلِ، وقد فَعَلَ ما يقدرُ عليهِ مِثْلُهُ مِنَ الاجتهادِ في التقليدِ؛ فهذا لا يُؤاخَذُ -وإنْ أَخطأَ-.

وأَمَّا طاعةُ العلماءِ والأمراءِ في غيرِ معصيةِ اللهِ؛ فهذا واجبٌ؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1] . و «أُولُو الأَمْرِ» هم العلماءُ والأمراءُ، فالعلماءُ هم الذين يُبيِّنون الأحكامَ الشَّرعيَّةَ، والأمراءُ هم الذين يُنفِّذونها.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء الآية: ٥٩.

(٣٩)

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[1]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[3]. وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[4].

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» قَالَ النَّوَوِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «الْحُجَّة» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ عَرِفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ

---

(١) سورة النور الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة الآية: ١١.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٦.

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٠.

الْيَهُودِ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ .

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اِخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا نَتَرَافَعُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ الْآخَرُ إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَىٰ عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ الله ﷺ أَكَذَلِكَ؟ قَالَ نَعَمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ.

قال الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم في حاشيته علىٰ كتاب التوحيد: «تَرْجَمَ المصنِّفُ بهذه الآية الدَّالَّةِ علىٰ كفرِ مَن أرادَ التَّحَاكُمَ إلىٰ غيرِ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَمَنْ شَهِدَ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، ثم عَدَلَ إلىٰ تحكيمِ غيرِ الرَّسولِ في مواردِ النِّزاعِ وفي الخصوماتِ؛ فقد كذبَ في شهادتهِ، فمناسبةُ هذا البابِ لكتابِ «التَّوحيدِ» ظاهرةٌ جليَّةٌ، وهي أَنَّ التَّحاكُمَ إلىٰ غيرِ شرعِ اللهِ قَدْحٌ في أصلِ التَّوحيدِ وكفرٌ باللهِ، وأَنَّ الحُكْمَ بشرعِ اللهِ واجبٌ». بتصرف بيسير.

وممن قال بكفر من حكم بغير شرع الله العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالته «تحكيم القوانين»، ومعالىٰ الشيخ صالح آل الشيخ في «التمهيد في شرح كتاب التوحيد»، معَ وجوبِ التَّنبُّهِ إلىٰ أَنَّ مسألةَ التَّكفيرِ، وتنزيلهِ علىٰ الأفرادِ

والحكوماتِ الإسلاميَّةِ مِن أخطرِ المسائلِ، وقد ضَلَّتْ في ذلك أفهامٌ وزَلَّتْ أقدامٌ؛ فلا يجوزُ التَّسرُّعُ فِي التَّكفيرِ؛ فلا بدَّ فيه مِنَ اجتماعِ الشُّروطِ وانتفاءِ الموانعِ. والواجبُ الرُّجوعُ -في ذلك- إلىٰ العلماءِ الرَّاسخين.



(٤٠)
باب مَنْ جحدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾(١) الْآيَةَ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!».

وَرَوَىٰ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!» انْتَهَىٰ.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

«التَّوحيدُ» لا يحصلُ إلا بالإيمانِ باللهِ وأسمائهِ

---

(١) سورة الرعد الآية: ٣٠.

وصفاتهِ، بإثباتِها على الوجهِ اللائقِ باللهِ تعالىٰ إثباتًا بلا تمثيلٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، كما هو منهج السَّلَفِ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]؛ ففيها إثباتُ الأسماءِ والصِّفاتِ للهِ تعالىٰ ونفيُ مماثلةِ المخلوقات.

والذي يجحدُ اسمًا سَمَّىٰ اللهُ بهِ نَفْسَهُ في كتابهِ أو سُنَّةِ نَبِيِّهِ؛ فإنه يكون كافرًا باللهِ تعالىٰ، كما جَحدتْ قريشٌ اسمَ اللهِ «الرحمن»؛ فقال عنهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[2]، فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ سالمون من ضلالتينِ:

التَّعطيل، وهو نفيُ دلالةِ الأسماءِ والصِّفاتِ.

والتَّمثيل، وهو إثباتُها علىٰ وجهٍ يُماثِلُ صفاتِ المخلوقين.



---

(١) سورة الرعد الآية: ٣٠.

(٢) سورة الشورىٰ الآية: ١١.

(٤١)

باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[١] الْآيَةَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: «هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ-: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: «كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا». وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

---

(١) سورة النحل الآية: ٨٣.

الواجبُ علىٰ الخَلْقِ أن يُضيفوا النِّعَمَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ قولًا واعترافًا؛ وبذلك يتمُّ توحيدُهم، ومَن أَنْكَرَ نعمَ اللهِ بقلبِهِ ولسانِهِ أو نَسَبَها إلىٰ غيرِهِ، فقال: هذا بشفاعةِ آلهتِنا، أو شفاعةِ صاحبِ القبرِ والضَّريحِ «فلان»؛ فذلك كافرٌ ومُشْرِكٌ باللهِ الشِّرْكَ الأكبرَ. أَمَّا مَن أقرَّ أن النِّعَمَ كلَّها مِنَ اللهِ، ولكنه بلسانِهِ يُضيفها إلىٰ نفسِهِ وعملِهِ، أو إلىٰ سعيِ غيرِهِ، كما هو جارٍ علىٰ الألسنةِ مما ذُكر في هذا الباب، مثلَ قولِ بعضِهم: «حصلتُ علىٰ هذا المالِ بكسبي وكدِّي وجهدي وعرقي». أو: «لولا فلانٌ؛ لم يكنْ كذا»، ونحو ذلك؛ فهذا شِرْكٌ أصغرُ.



(٤٢)

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(١)]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ: «الْأَنْدَادُ هُوَ: الشِّرْكُ؛ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ؛ لَأَتَىٰ اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: «أَنَّهُ يُكْرَهُ: أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ»، قَالَ: «وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ».

المرادُ بهذهِ الترجمةِ: التَّحذيرُ من الشِّرْكِ الأصغرِ، كالشِّرْكِ في الألفاظِ، كالحلفِ بغيرِ اللهِ، وكالتَّشريكِ بينَ اللهِ وخَلْقِهِ في الألفاظِ، كقول: «لولا الله وفلان»، و«هذا باللهِ وبكَ»، و «ما شاءَ اللهُ وشئتَ»، أو «ما شاءَ اللهُ وشاءَ فلانٌ»، وكإضافةِ الأشياءِ ووقوعِها لغيرِ اللهِ، كقولِ: «لولا الحارسُ لَأَتانا اللُّصوصُ»، و«لولا الدَّواءُ الفلانيُّ لَهَلكتُ»، و«لولا حذقُ فلانٍ في الكسبِ الفلانيِّ لما حصلَ»، فكل هذا يُنافي كمالَ التَّوحيدِ.

ومن تحقيقِ «التَّوحيدِ» الاحترازُ من الألفاظِ الشِّرْكيَّةِ، وإن لم يقصدِ المتكلِّمُ بها معنًى لا يجوزُ، ولو جَرَتْ على اللسانِ من غيرِ قصدٍ.

❋ ❋ ❋

(٤٣)

باب مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ الله» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

يجبُ على المسلم أن يَقنعَ ويَرضى بالحلفِ باللهِ تعالى؛ تعظيمًا لله، ومَن لم يَرْضَ؛ فليسَ مِنَ اللهِ، فهذه براءةٌ مِنَ اللهِ ممَّن لم يَقْنَعْ بالحلفِ بهِ، ووعيدٌ شديدٌ.

فيجبُ تعظيمُ اليمينِ باللهِ، والرِّضا بها، سواءٌ في الخصومات أو الاعتذارات، وهذا عامٌّ في كلِّ حَلِفٍ؛ فإنَّ تعظيمَ اللهِ في قلبِ العبدِ يجعلُهُ يُصدِّقُ مَن حَلَفَ له باللهِ -ولو كان كاذبًا-، لكنْ مادام قد تَيَّقنَ كَذِبَ الحالفِ؛ فله أَلَّا يَبني عليه شيئًا، ولا تَصرُّفا، لكنْ يُصدِّقه ولا يُظهر له تكذيبًا؛ تعظيمًا لله تعالى .

❁ ❁ ❁

(٤٤)

باب قول: ما شاء الله وشئت

عَـنْ قُتَيْلَـةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّـا أَتَـىٰ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَـالَ: إِنَّكُـمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَـاءَ اللهُ وَشِـئْتَ، وَتَقُولُـونَ: وَالْكَعْبَـةِ، فَـأَمَرَهُمُ النَّبِـيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُـوا أَنْ يَقُولُـوا: وَرَبِّ الْكَعْبَـةِ، وَأَنْ يَقُولُـوا: مَـا شَـاءَ اللهُ ثُـمَّ شِـئْتَ» رَوَاهُ النَّسَـائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ».

وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَىٰ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَىٰ، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ:

مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟»، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَىٰ رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ».

قولُ: «ما شَاءَ اللهُ وشئتَ» لا يجوزُ؛ لما فيه من التَّسويةِ بينَ الخالقِ والمخلوقِ في المشيئةِ، وهو شِرْكٌ أصغرُ إن اعتقدَ أنه دونَ اللهِ في المشيئةِ والقدرةِ، لكنْ أَشركَ به في اللفظِ فقط. وأَمَّا إذا اعتقدَ أن المعطوفَ مساوٍ للهِ في المشيئةِ والقدرةِ؛ فذلك شِرْكٌ أكبرُ.

❁ ❁ ❁

(٤٥)

باب من سبَّ الدَّهْرَ فقدْ آذى اللهَ

وَقَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ الْآيَةَ[1].

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

سَابُّ الدَّهْرِ -وهو الزَّمَانُ، ويدخلُ فيه أجزاؤُهُ كالسَّاعةِ واليومِ-؛ هو بيَن أمرين، إِمَّا مَسَبَّةُ الله، أو الشِّرْكُ بهِ، فإن اعتقدَ أن الدَّهْرَ فاعلٌ معَ اللهِ؛ فهو شِرْكٌ أكبرُ. وإن اعتقدَ أن اللهَ -وَحْدَهُ- هو الفاعلُ لذلكَ؛ فقد سَبَّ اللهَ تعالىٰ .

❋❋❋

---

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٤.

(٤٦)
باب التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهَ».

قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ: شَاهَانْ شَاهْ».

وَفِي رِوَايَةٍ : «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي: أَوْضَعَ.

كلُّ اسمٍ فيه تعظيمٌ شديدٌ للمخلوقِ من الألقابِ والأسماءِ التي فيها التَّعظيمُ الذي لا يليقُ إلا باللهِ عَزَّوَجَلَّ مثلُ «ملكِ الأملاكِ»، و «سيِّدِ السَّاداتِ»، وما أَشْبَهَ ذلك من الألقابِ الضخمة، فيَحْرُمُ التَّسمِّي بها، ومنها: «قاضي القضاةِ»؛ قياسًا على تحريمِ التَّسمِّي بـ «ملكِ الملوكِ» الواردِ ذَمُّهُ، والذي يُنافي كمالَ التَّوحيدِ.

❋ ❋ ❋

(٤٧)

باب احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَىٰ أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

من تحقيقِ التَّوحيدِ؛ احترامُ أسماءِ اللهِ تعالىٰ، وتغييرُ الاسمِ من أجل ذلك، وهذا الحديثُ يدلُّ علىٰ المنع مِن إهانةِ أسماءِ اللهِ بالتسمِّي بأسمائهِ المختصَّةِ بهِ، والتَّكنِّي بذلك؛ فيَحْرُمُ امتهانُ أسماءِ اللهِ تعالىٰ، ويُمنَعُ مَا يُوهِمُ بعدمِ احترامِها، كالتَّكنِّي بأبي الحكمِ، ونحوهِ.

❁ ❁ ❁

(٤٨)
باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾(١) الْآيَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ: «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُولَ الله ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ- فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ؛ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ

---

(١) سورة التوبة الآية: ٦٥.

رَسولِ الله ﷺ وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[(١)]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ».

مَن تَكلَّمَ بكلامٍ فيه الهزلُ والاستهزاءُ والعيبُ، إِمَّا باللهِ، أو بالقرآنِ، أو بالرسولِ، أو سُنَّتِهِ، أو بالأنبياءِ والمرسلين؛ فقد كفرَ لاستخفافهِ بالرُّبوبيةِ والرِّسالةِ.

أَمَّا الاستهزاءُ بعلماءِ الشَّريعةِ والصَّالحين؛ فيُنظر فيهِ إلىٰ القرائنِ والبواعثِ علىٰ السُّخريةِ، فإن كان لتديُّنِهم بالإسلامِ وعنايتهم بالكتابِ والسُّنَّةِ؛ فذلك كفرٌ ورِدَّةٌ، وإن كان الباعثُ علىٰ السُّخريةِ بالعلماءِ والصَّالحين أمورٌ أخرىٰ، كاتهامِهم في نِيَّاتهم وصِدْقِهم في التَّدَيُّنِ؛ فهذا الاتهامُ حرامٌ، لكنْ لا يصلُ إلىٰ حَدِّ الكفرِ.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة التوبة الآية: ٦٥ -٦٦.

(٤٩)

بَاب قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ (١)

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ (٢).

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ».

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ،

---

(١) سورة فصلت الآية: ٥٠.

(٢) سورة القصص الآية: ٧٨.

وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ -شَكَّ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوْ الْإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي

سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ ﷻ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لله، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ» أَخْرَجَاهُ.

مَن زَعَمَ أن ما أُوتيهِ مِنَ النِّعَمِ والرِّزْقِ، فهو بكَدِّهِ وفطنتهِ وتعبهِ وتحصيلهِ، وأنه مستحِقٌّ؛ لذلك فهذا مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ والعُجْبِ بالنَّفْسِ، كما فعلَ الأبرصُ والأقرعُ؛ إذْ نَسبوا النِّعمةَ التي أَعطاهم الله إِيَّاها إلىٰ أنفسِهم وتحصيلِهم؛ فنسبةُ النِّعَمِ إلىٰ اللهِ توحيدٌ، ونسبتُها إلىٰ غيرهِ شِرْكٌ، لكنْ إن اعتقدَ أَنَّ مُوجِدَهَا غيرُ اللهِ؛ فذلك شِرْكٌ أكبرُ. وإن اعتقدَ أن غيرَ اللهِ مجرَّدُ سببٍ، واللهُ هو الذي أَوجدَها، ولكنْ نسبَها إلىٰ السَّببِ؛ فذلك شِرْكٌ أصغرُ.



(٥٠)

باب قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾(١) الآيَةَ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ، كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَـمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِنِي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ، فَيَشُقُّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا- سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا أيضًا، فقالَ مثلَ قولِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ،

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٩٠.

وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ».

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾[1] قَالَ: «أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا»، وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا.

تعبيدُ الأسماءِ لغيرِ اللهِ، كـ «عبدِالكعبةِ»، أو «عبدِالحارثِ» شِرْكٌ أصغرُ يُنافي كمالَ التَّوحيدِ، وهو «شِرْكُ الطاعةِ» إن كان المقصودُ مجرَّدَ التَّسميةِ، ولم يُقصدْ به معنىٰ «العبوديَّةِ»، فإن كان المقصودُ به معنىٰ «العبوديَّةِ» و«التَّألُّهِ» لغيرِ اللهِ؛ صار مِنَ الشِّرْكِ الأكبرِ، كما عليه «عُبَّادُ القبورِ» الذين يُسمُّون أولادهم «عبدَالحسينِ»، أو «عبدَالرسولِ؛» فإنهم غالبًا يقصدون «التَّعبُّدَ».



---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٨٩.

(٥١)

باب قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[1] الْآيَةَ

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ «يُشْرِكُونَ». وَعَنْهُ: «سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ».

وَعَنِ الْأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».

أصلُ التوحيدِ إثباتُ ما أَثبتَهُ اللهُ تعالىٰ لنفسهِ، أو أَثبتَهُ له رسولُهُ ﷺ من الأسماءِ الحسنىٰ والصِّفات العُلَىٰ، من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ.

وعدمُ الإلحادِ في أسمائهِ بتسميةِ الله تعالىٰ بما لم يُسَمِّ به نفسه، أو التَّكذيبِ بها، أو بمعانِيها وبما دَلَّتْ عليه، أو تسميةِ المخلوقاتِ بها، وأسماؤه تعالىٰ لا يُحصيها إلا هو، وقد بلغتِ الغايةَ في الحسنِ، فليس في الأسماءِ أحسنُ،

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

ولا أكملُ، ولا أجملُ، ولا أعظمُ منها؛ فينبغي للعبادِ معرفتُها وما احتوتْ عليهِ من المعاني الجليلة والمعارف الجميلة، والتَّعبُّدُ للهِ بها، وبإثباتِها ودعاؤُهُ بها؛ فهي أعظمُ الوسائل إلىٰ الله تعالىٰ.

وفي هذه الترجمةِ أرادَ المصنِّفُ الرَّدَّ علىٰ مَن يتوسَّلُ بذواتِ الأمواتِ، وأنه باطلٌ، وأن المشروعَ التَّوَسُّلُ بالأسماءِ الحسنىٰ، والصِّفاتِ العُلَىٰ، وبالأعمالِ الصالحةِ، وأن تطلبَ من الرجلِ الصالحِ الحيِّ أن يدعوَ لك، ولا تطلبْ ذلك من الميِّتِ وصاحبِ القبرِ الذي انقطعَ عملُهُ، وهو بحاجةٍ لدعائِكَ أنتَ له .



(٥٢)

باب لا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَام عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَام عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ».

لَـمَّا كان السَّلامُ علىٰ الشَّخصِ معناه طلبُ السَّلامةِ له؛ امتنعَ أن يقالَ: «السَّلَامُ علىٰ اللهِ»؛ لأنه هو الغنيُّ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ آفةٍ ونقصٍ؛ فهو يُدْعَىٰ ولا يُدْعَىٰ له، ويُطْلَبُ منه السَّلَامَةُ، ولا يُطْلَبُ له السَّلَامَةُ؛ فهذا نَهْيٌ عن التَّسليمِ علىٰ اللهِ؛ لأنه هو «السَّلَامُ»؛ فهو غنيٌّ عن أن يُسَلَّمَ عليهِ.

❁ ❁ ❁

(٥٣)

باب قَوْلُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

تعليقُ الدُّعاءِ بالمغفرةِ بالمشيئةِ منهيٌّ عنه؛ فلا تقلْ في دعائكَ: «إنْ شاءَ اللهُ»، واعزمِ الطلبَ؛ فاللهُ لا يُثقله شيءٌ من حوائجِ خَلْقِهِ، أو يَضطرُّهُ شيءٌ إلىٰ قضائِها.

❋ ❋ ❋

(٥٤)

باب لا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

نَهَىٰ المصنِّفُ عن هذهِ الألفاظِ؛ تحقيقًا للتَّوحيدِ، وسَدًّا للذَّرائعِ؛ لما في هذه الألفاظِ من التَّشريكِ في اللفظ، وسوءِ الأدبِ مع اللهِ تعالىٰ. وأَرْشَدَ إلىٰ ما يقومُ مقامَها.



(٥٥)
باب لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِالله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

مَن سألكَ باللهِ (فقال: أَسألُكَ باللهِ أن تُعطيَني كذا، أو تفعلَ كذا)؛ فإنه يجبُ عليك إعطاؤه -ما لم يتضمَّنِ السُّؤالُ إثمًا أو ضررًا علىٰ المسئول؛ تعظيمًا وإجلالًا للهِ تعالىٰ الذي سألكَ بهِ، وكذلك مَن استعاذَ باللهِ؛ فأَعِذْهُ.

❋❋❋

(٥٦)
باب لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

أي: لا يجوزُ أن يُسألَ بوجهِ اللهِ العظيمِ إلا الجنَّةَ؛ إجلالًا وإعظامًا له أن يُسألَ بوجههِ ما هو حقيرٌ مِن حوائجِ الدُّنيا، بل يُسألُ بوجههِ غايةُ المطالبِ كالجنَّةِ، بما فيها من النَّعيم المقيم، والنَّظَرِ إلىٰ وجههِ الكريم، أو الإعانةِ علىٰ أعمالِ الآخرةِ والأعمالِ الصالحةِ الموصِّلةِ إلىٰ الجنَّةِ؛ فهذا مِن حقوقِ التَّوحيدِ.



(٥٧)

باب ما جاء في «اللَّوِّ»

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا....﴾[1] الْآيَةَ.

وَقَوْلُهُ:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾[2] الْآيَةَ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

استعمالُ لفظةِ (لو) علىٰ قسمين:

مذمومٌ، وهو استعمالها علىٰ أمرٍ ماضٍ، وحُمِلَ عليها

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦٨.

الضَّجَرُ والتَّحَسُّرُ والحزنُ وضعفُ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ، كاستعمالها عندَ المصائب.

وأما المحمودُ، فهو استعمالُ (لو) رغبةً في الخيرِ، وللإرشادِ والتَّعليمِ، (كقولكِ: لو اعتمرتُ، أو: لو قرأتُ القرآنَ، وقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ علىٰ أُمَّتِي؛ لَأَمرتهُم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صلاةٍ). فالأصلُ في استعمالِ (لو) الجوازُ، إلا إذا قارنَها أمرٌ محرَّمٌ، كالاعتراضِ علىٰ الشَّرْعِ والقَدَرِ.



(٥٨)
باب النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

سَبُّ الرِّيحِ علىٰ وجهين:

١-أن يسبَّها ويتسخَّط منها؛ باعتقادِ أنها مأمورةٌ مخلوقةٌ؛ فهذا محرَّمٌ.

٢- أَمَّا إنْ سَبَّها؛ باعتقادِ أنها هي الفاعلةُ؛ فذلكَ شِرْكٌ في الرُّبوبيَّةِ.

❋ ❋ ❋

(٥٩)

باب قَوْلِ الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[١].

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾[٢].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي الآيَةِ الأُولىٰ: فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُوْلَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ القَدْرِ وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُوْلِهِ ﷺ وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّيْنِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِيْ ظَنَّهُ المُنَافِقُوْنَ وَالمُشْرِكُوْنَ فِي سُوْرَةِ الفَتْحِ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السُّوْءَ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا يَلِيْقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيْلُ البَاطِلَ عَلَىٰ الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٤.

(٢) سورة الفتح الآية: ٦.

يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنَّ مَا جَرَىٰ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُوْنَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدَ - بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ -؛ فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّوْنَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيْمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيْمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمُوْجَبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَّ لَرَأَيْتُ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَىٰ القَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ   وإلا فإني لا إخالُك ناجيًا

أرادَ المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذهِ التَّرجمةِ؛ التَّنبيهَ علىٰ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ؛ لأن ذلك مِن واجباتِ «التَّوحيدِ»؛ ولذلك ذَمَّ اللهُ

مَن أساءَ الظَّنَّ بهِ. وسُوءُ الظَّنِّ باللهِ يُنافي أصلَ التَّوحيدِ، ويكونُ كفرًا باللهِ إذا زادَ وكثرَ واستمرَّ، ويُنافي كمالَ التَّوحيدِ إذا كان شيئًا عارضًا أو خفيفًا، أو خاطرًا في النفس فقط، ولا يَتكلَّمُ بهِ بلسانهِ، أَمَّا إِنْ تَكلَّمَ بهِ بلسانهِ؛ فإنه يكونُ مُنافيًا للتَّوحيدِ، قال تعالىٰ -في الحديث القدسيِّ-: «أنا عندَ ظَنِّ عبدِي بي، إِنْ ظَنَّ بي خيرًا؛ فَلَهُ. وإنْ ظَنَّ بي شَرًّا؛ فَلَهُ».



(٦٠)
باب ما جاء في مُنْكِري القَدَر

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ؛ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ. سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيْرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُوْمَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هٰذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ القَلَمُ؛ فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ؛ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

وَفِي المُسْنَدِ والسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ؛ قَالَ: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيْحِهِ.

لَـمَّا كانَ الإيمانُ بالقَدَرِ مِن أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ -وهي: (الإيمانُ باللهِ، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، والقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ-)، والتي لا يصحُّ الإيمانُ إلَّا بها-؛ وَضَعَ له المؤلِّفُ هذا البابَ؛ لأنَّ هذا ممَّا يحصلُ به التَّوحيدُ، ويَنتفي به الكفرُ، وليردَّ علىٰ مُنْكِرِي القَدَرِ؛ ببيانِ ما جاءَ في إنكارِهِ مِنَ الوعيدِ الشَّديدِ، والتَّحذيرِ الأكيدِ.

والإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ يشتملُ علىٰ أربعِ مراتبَ:

المرتبة الأولىٰ: أن الله تعالىٰ عَلِمَ بكلِّ ما كانَ ويكونُ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)].

المرتبة الثانية: كتابةُ ذلك كله في اللَّوْحِ المحفوظِ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾[(٢)].

المرتبة الثالثة: المشيئةُ، وهو أنه لا يكونُ كائنٌ إلَّا بمشيئةِ اللهِ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[(٣)].

المرتبة الرابعة : الخَلْقُ، وهو أن كلَّ شيءٍ هو مِن خَلْقِ اللهِ تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(٤)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾[(٥)].

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.
(٢) سورة الحج الآية: ٧٠.
(٣) سورة التكوير الآية: ٢٩.
(٤) سورة الزمر الآية: ٦٢.
(٥) سورة الصافات الآية: ٩٦.

(٦١)
باب ما جاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِيْنَ يُضَاهِئُوْنَ بِخَلْقِ اللهِ». وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوْعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُوْرَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوْحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ؛ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ؟ أَلَّا تَدَعَ صُوْرَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا؛ إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

«التَّصويرُ المحرَّمُ» يدخلُ فيه صورتان:

١- النَّحْت، بأن يصنعَ تمثالًا، أو صورةً مجسَّمةً علىٰ شكلِ ذاتِ روحٍ، كإنسانٍ أو حيوانٍ.

٢- أن يرسمَ بيدهِ شيئًا من ذواتِ الأرواحِ.

وذلك؛ لأن فيه مضاهاةً لخَلْقِ اللهِ وتشبُّهًا بخَلْقِ اللهِ تعالىٰ.

وَأَمَّا التَّصويرُ بالآلاتِ الحديثةِ، كالكاميراتِ؛ فهل يلحقُ بالتَّصويرِ؟.

اختلفَ الفقهاءُ في هذا الأمرِ، والأَوْلَىٰ اجتنابُهُ؛ إِلَّا للضَّرورةِ أو الحاجةِ. وقد عقدَ المؤلِّفُ هذا البابَ في كتابِ التَّوحيدِ؛ لأن التَّصويرَ سببٌ من أسبابِ الشِّرْكِ، ووسيلةٌ إلىٰ الشِّرْكِ الذي هو ضِدُّ التَّوحيدِ، كما حدثَ لقومِ نوحٍ لَـمَّا صَوَّروا صُوَرَ الصَّالحين، وغَالَوْا فيهم؛ فعبدُوهم مِن دونِ اللهِ.



(٦٢)
باب ما جاء في كثرة الحلف

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِيْنِهِ، وَلَا يَبِيْعُ إِلَّا بِيَمِيْنِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُوْنَ وَلَا يُسْتَشْهَدُوْنَ، وَيَخُوْنُوْنَ وَلَا يُؤْتَمَنُوْنَ، وَيَنْذِرُوْنَ وَلَا يُوْفُوْنَ، وَيَظْهَرُ فِيْهِمُ السِّمَنُ». وَفِيْهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ

---

(١) سورة المائدة الآية: ٨٩.

يَجِيْءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِيْنَهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ».
وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ: كَانُوا يَضْرِبُوْنَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

علىٰ المسلمِ أن لا يُكثرَ اليَمين وأن يحترمَ اسمَ اللهِ عن كثرةِ الحلفِ؛ لأنه يَلزمُ مِن كثرةِ الحلفِ كثرةُ الحنثِ، مع ما يدلُّ عليه من الاستخفافِ، وعدمِ التَّعظيمِ للهِ تعالىٰ.



(٦٣)
باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيْرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ خَيْرًا؛ فَقَالَ: «اُغْزُوَا بِسْمِ اللهِ ، فِي سَبِيْلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله اُغْزُوَا،وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيْدًا، وَإِذَا لَقِيْتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ؛ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ -، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ؛ فَإِنْ أَجَابُوْكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِيْنَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِيْنَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِيْنَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ

---

(١) سورة النحل الآية: ٩١.

يَكُوْنُوْنَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِيْنَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَايَكُوْنُ لَهُمْ فِي الغَنِيْمَةِ وَالفَيءِ شَيْءٌ؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوْكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْتَعِنْ باللهِ وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ؛ فَأَرَادُوْكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ؛ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيْبُ فِيْهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

مِن كمالِ تحقيقِ توحيدِ الأسماءِ والصِّفاتِ؛ عدمُ إعطاءِ ذِمَّةِ اللهِ في العهودِ؛ خوفًا مِن عدمِ الوفاءِ بها؛ فيؤدِّي ذلك لِتَنَقُّصِ اللهِ؛ وهذا يَقدحُ في التَّوحيدِ، ويُنافي كمالَهُ الواجبَ، وفي هذه الآية التي أوردَها المصنِّفُ في البابِ يأمرُ اللهُ -تعالىٰ- بالوفاءِ بالعهودِ والمواثيقِ، والمحافظةِ علىٰ الأيمانِ المؤكَّدةِ بعدمِ نقضِها.

وأنواعُ العقودِ والمعاهداتِ ثلاثةٌ:

١-المعاقَدةُ بينَ الناسِ، كالمعاهَدةِ بينَ المسلمين والكفار، والمعاهَدة بين الرعيِّة والأئمَّةِ في طاعتِهم بالمعروفِ، والمعاهَدةِ في العقودِ كالنِّكاحِ والبيعِ، ونحو ذلك مما يجبُ الوفاءُ بهِ.

٢-معاهَدةُ الله علىٰ ما يُتقرَّبُ بهِ إليهِ، فهذا من معنىٰ النَّذْرِ، والحلفِ المنذورِ، فإن كان علىٰ فعلِ واجبٍ أو تركِ محرَّمٍ كان يمينًا ونذرًا له، مؤكَّدًا باليمينِ بمعاهدةِ اللهِ.

٣-معاهَدةٌ بمعنىٰ «اليمينِ المحضةِ»؛ إذا كان مقصودُها الحَضُّ، أو المنعُ؛ فهذه يمينٌ لكنَّها مؤكَّدةٌ.

وفي حديثِ البابِ: النَّهْيُ عن إعطاءِ ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ رسولِهِ للكفارِ؛ خشيةَ عدمِ الوفاءِ بذلكَ؛ فتكون الجريمةُ عظيمةً، ويكون ذلك هضمًا لعهدِ اللهِ، ونقصًا في التَّوحيدِ.

وغرضُ المؤلِّفُ مِن إيرادِ هذا البابِ: البُعْدُ والحذرُ من التَّعرُّضِ للأحوالِ التي نَخشىٰ منها نقضَ العهودِ والإخلالَ بها، بعدَما نُعطي للأعداءِ المعاهَدين ذِمَّةَ اللهِ وذِمَّةَ رسولِهِ، فإنه متىٰ وقعَ النقضُ في هذه الحالِ؛ كان انتهاكًا من المسلمين لذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نَبيِّهِ، وتَرْكًا لتعظيمِ اللهِ.

وفي ذلك أيضًا تهوينٌ للإسلامِ، وتزهيدٌ للكفارِ بهِ، فإن الوفاءَ بالعهودِ، وخصوصًا المؤكَّدة بأغلظِ المواثيقِ؛ هو مِن محاسنِ الإسلامِ الدَّاعيةِ للأعداءِ المنصِفِين إلىٰ تفضيلهِ واتِّباعهِ. ولقد ابتُلينا في الأزمنةِ المتأخرةِ بمن عَكَسَ الأَمْرَ، وأصبحَ بجهلهِ يتقرَّبُ إلىٰ اللهِ بنقضِ العهودِ والمواثيقِ بينَ المسلمين والكفار، وقتلِ المعاهَدِين مع أن النَّبيَّ ﷺ حَذَّرَ مِن ذلك وتوعد عليه فقال: «مَن قتلَ معاهَدًا لم يرحْ رائحةَ الجنَّةِ».



(٦٤)
باب مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: واللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِيْ يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

الإقسامُ علىٰ اللهِ تعالىٰ هو الحلفُ علىٰ اللهِ أن يفعلَ كذا، أو لا يفعل كذا، وهو محرَّمٌ إذا كان علىٰ جهةِ الحَجْرِ علىٰ اللهِ، وتَحجُّرِ فضلهِ، وسوءِ الظَّنِّ به، كالإقسامِ بأن الله لا يغفرُ لعبادِهِ، أو لا يرحمُهم، أو الحلفِ بقوله: «واللهِ، لا يغفرُ اللهُ لفلانٍ»، والجزمُ بحصولِ ذلك، وهذا هو التَّألِّي علىٰ اللهِ، وهو نقصٌ في التَّوحيدِ، وهو محرَّمٌ؛ لأنه سُوءُ أدبٍ معَ اللهِ. أَمَّا إذا كان يقسمُ علىٰ اللهِ، والحاملُ له حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ وقُوَّةُ رجائهِ باللهِ، والطمعُ في رحمتهِ؛ فهذا جائزٌ؛ لحديث: «إنَّ مِن عبادِ اللهِ مَن لو أَقسمَ علىٰ اللهِ؛ لَأَبَرَّهُ».

❁ ❁ ❁

(٦٥)
باب لا يُستَشْفَعُ بالله عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! نُهِكَتِ الأَنْفُسُ وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ باللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَىٰ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!»، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوْهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بالله عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، وَذَكَرَ الحَدِيْثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

الاستشفاعُ باللهِ إلىٰ أحدٍ مِن خَلْقِهِ؛ حرامٌ وهضمٌ للرُّبوبيَّةِ، وتَنَقُّصٌ للهِ، وقَدْحٌ في التَّوحيدِ؛ فلا يجوزُ أن يُطْلَبَ مِنَ اللهِ أن يَشفعَ إلىٰ أحدٍ مِن خَلْقِهِ؛ فشأنُ اللهِ أعظمُ؛ فلا يجوزُ أن تقولَ: «يا الله، اشفعْ لي عندَ فلانٍ»، ولا يجوزُ أن تقولَ: «يا فلانُ، إِنَّا نستشفعُ باللهِ عليكَ»، ومثلُ ذلك ما يكثرُ علىٰ ألسنةِ بعضِ العوامِّ في الشَّفاعاتِ في قضايا الإصلاحِ، فيقول بعضُهم: «يا فلانُ، وَجَّهْتُ اللهَ عليكَ»، أو «أنا مُوجِّهُ

اللهَ عليكَ». ومثله قول بعضهم: «أنا ما لي واسطة عند الجهة الفلانية إلا الله»، فهذا كله من الاستشفاعِ باللهِ إلىٰ خَلْقِهِ؛ فلا يجوزُ. وشأنُ اللهِ أعظمُ من ذلك.



(٦٦)
باب ما جاء في حِمايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمى التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيْرِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ؛ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «اَلسَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُوْلُوْا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُوْلُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُوْنِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِيْ أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

فيه حمايةُ النَّبيِّ ﷺ حِمَىٰ التَّوحيدِ؛ بالتَّأَدُّبِ بالأقوالِ، فكلُّ قولٍ يُفضي إلىٰ الغُلُوِّ الذي يُخشىٰ منه الوقوعُ في الشِّرْكُ؛ فإنه يتعيَّنُ اجتنابُهُ، ولا يتمُّ التَّوحيدُ إلَّا بتركِهِ.

وقد نَهَىٰ النَّبيُّ ﷺ عن الأقوالِ التي فيها مبالغةٌ في تعظيمِهِ -معَ استحقاقِهِ لها-، كقولِهم له: «سيِّدنا» و«خيرنا»، واختيارُهُ أن يخاطَبَ بالعبوديَّةِ والرِّسالةِ؛ صيانةً

للتَّوحيدِ، وسَدًّا لبابِ الغلوِّ المفضِي إلىٰ الشِّرْكِ. فإذا كان هذا رسولُ اللهِ ﷺ صفوةُ اللهِ مِن خَلْقِهِ، وخيرتُهُ مِن عبادِهِ، وصَفِيُّهُ، وخليلُهُ، وكليمُهُ، صاحبُ اللواءِ المعقودِ، والمقامِ المحمودِ، والحوضِ الموْرودِ، وأَوَّلُ شافعٍ، وأَوَّلُ مُشفَّعٍ، وأَوَّلُ مَن ينشقُّ عنه القبرُ، وأَوَّلُ من يَستفتح بابَ الجنَّةِ؛ فيُفتَحُ له، لا يُفتَحُ لأحدٍ قبلَهُ، وهو سيِّدُ ولدِ آدمَ عليه الصلاة والسلام، ومعَ هذا يَنهىٰ عن المبالغةِ في مدحِهِ بما يستحقُّهُ، كما في حديثي البابِ، ويَعتبرُ ذلك مِنَ استجراءِ الشَّيطانِ؛ فكيف لو سمعَ عليه الصلاة والسلام كلامَ أصحابِ الغلوِّ الذين يمدحونَهُ بما لا يليقُ إلَّا باللهِ ﷻ، ويرفعونَهُ إلىٰ مرتبةِ الرُّبوبيَّةِ والأُلوهيَّةِ، فيعتقدون أنه يتصرَّفُ في الكونِ، ويجيبُ الدَّعواتِ، ويَقضي الحاجاتِ؛ هل سَيَرْضَىٰ؟ لا واللهِ، لن يرضىٰ، وهذه سُنَّتُهُ شاهدةٌ ناطقةٌ بالنَّهْيِ عن ذلك، والتَّحذيرِ منه؛ فكيفَ بمن يزكِّي بعضَ الناس بالصَّلاحِ والولايةِ، ويبالغُ في مدحِهم والثَّناءِ عليهم، ويَغلو فيهم أحياءً وأمواتًا، أَلَا يخافُ أن يَستجريهِ الشَّيطانُ إلىٰ أن يقعَ في الشِّرْكِ في قولِهِ أو عملِهِ، وذلك بدعائِهم والاستغاثةِ بهم في الكُرباتِ والذَّبْحِ والنَّذْرِ لهم ؟!!!

(٦٧)

باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1]

عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِيْنَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيْقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ - ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «وَيَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ»

---

(١) سورة الزمر الآية: ٦٧.

أَخْرِجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَرْفُوْعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِيْنَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟». وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُوْنَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»، قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «مَا الكُرْسِيِّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيْدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيْهَا خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، والله

فَوْقَ العَرْشِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ، وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُوْدِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، قَالَ: «وَلَهُ طُرُقٌ».

وَعَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُوْنَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟».

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيْرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، مَسِيْرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيْرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

أراد المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يختمَ كتابه بهذا البابِ المشتملِ علىٰ النُّصوصِ الدَّالَّةِ علىٰ عظمةِ اللهِ، وخضوعِ المخلوقاتِ له؛ ممَّا يدلُّ علىٰ أنه هو المستحِقُّ للعبادةِ وَحْدَهُ، وأن له صفاتِ الكمالِ، ونعوتَ الجلالِ سبحانه وتعالىٰ.

وهذه الأحاديثُ التي ذَكرها المصنِّف -وما في

معناها- تدلُّ على عظمةِ اللهِ عز وجل، وعظيمِ قدرتِهِ، وعظمِ مخلوقاتِهِ، وأنه المستحِقُّ للعبادةِ وحده لا شريكَ له في ربوبيَّتِهِ وألوهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وأن على المسلم إثباتها على ما يليقُ بجلالِ اللهِ وعظمتِهِ؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(1)]، وعلى هذا مَضَى سَلَفُ الأُمَّةِ وأئمَّتُها، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ.

وصفةُ علوِّ اللهِ الأعلى على عرشِهِ القائل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[(2)] مِن أعظمِ الصِّفاتِ الرَّبَّانيَّةِ التي يجبُ إثباتُها للهِ تعالى، وكم في إثباتها من تعظيمٍ وإجلالٍ للحيِّ القيومِ، وموافقةٍ لدلائلِ الشرعِ والفطرةِ والعقلِ.

أسألُ اللهَ أن يجعلَنا -وإيَّاكم- ممَّن عَظَّمَ اللهَ -تعالى- بالإيمانِ بأسمائِهِ الحسنى وصفاتِهِ العُلى، ووَحَّدَهُ وأطاعَهُ وقَدَّرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ .

والحمدُ لله الذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحات ،،،،



(1) سورة الشورى الآية: 11.

(2) سورة طه الآية: 5 .

أهم المراجع

١- «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن.

٢- «حاشية كتاب التوحيد» للشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

٣- «القول السَّديد» للشيخ عبدالرحمن السَّعديّ.

٤- «الدُّرُّ النَّضيدُ علىٰ أبواب كتاب التَّوحيد» للشيخ سليمان بن حمدان.

٥- «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين.

٦- «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ صالح الفوزان.

٧- «التَّمهيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ صالح آل الشيخ.

٨- «المختصر المفيد في مجالس كتاب التوحيد» زيد بن فالح الربع.

الفهرس



